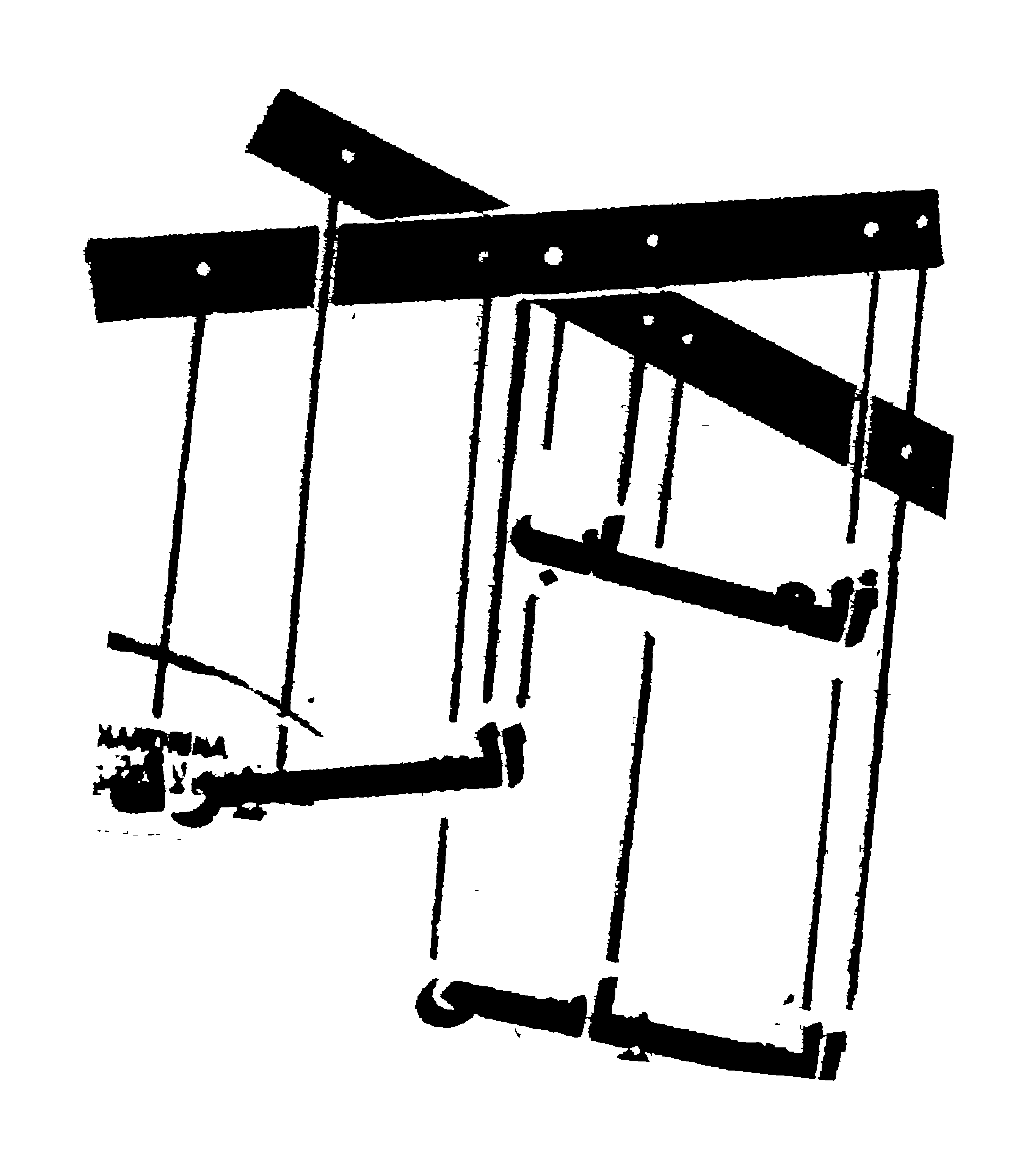


يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

مصطفى محمود

ألعاب السيرك السياسى



الدكتور مصطفى محمود

◄ المشرف على التحرير : جمال الغيطانى

● العدد ٣٦٥ ●

كتاب اليوم

أسسه
مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الادارة
ابراهيم سعده

العدد ٣٢٥ صفر ١٤١٢ هـ
سبتمبر ١٩٩١ م
ايلول

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط
تلكس دولى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٢

الاشـــتراكات

جمهورية مصر العربية :
قيمة الاشتراك السنوى ١٦ جنيه مصرى

البريد الجوى

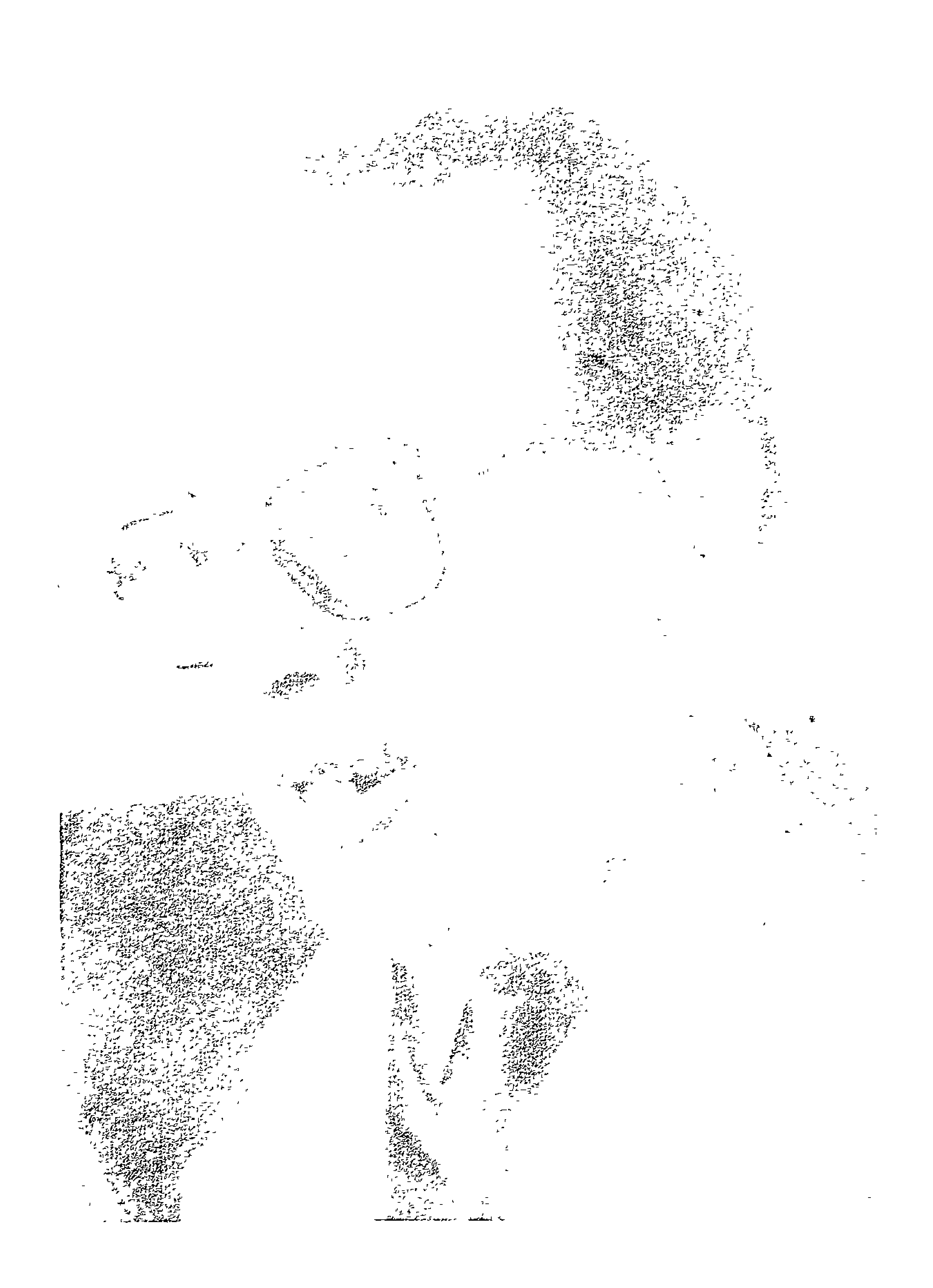
دول اتحاد البريد العربى والافريقى ١٥ دولار امريكى اوما يعادله
باقى دول العالم واوربا والأمريكيتين واسيا واستراليا ٢٠ دولار امريكى اوما يعادله

- ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
- ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٦ ش الصحافة القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

اسعار كتاب اليوم في الخارج

البلد	السعر	العملة
المغرب	٢٠	درهم
لبنان	١٢٠٠	ليرة
الاردن	١٠٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٥٠	فلس
السعودية	١٠	ريالات
السودان	١٥٠٠	قرش
تونس	١٥٠٠	مليما
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٥٠	ل.س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١٠٠٠	فلس
سلطنة عمان	١٠٠٠	بيسة
غـزة	١٥٠	سنت
ع . اليمنية	٢٣	ريال
موريتانيا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الامارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريالات
انجلترا	١٥٠	بنى
فرنسا	١٠	فرنك
المانيا	٥	مارك
ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	فلورين
الهند	٣٥٠	روبية
كندا امريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك/واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

الغلاف : مصطفى حسين
الرسوم الداخلية : محمد عفت



تقـــديـم :

الســـيرك

السياسة أصبح لها الآن ظاهر وباطن
التصريحات على اللسان أحلى من العسل
وما تخفيه القلوب أوامر بالقتل وتعليمات
بالنسف والخسف .

ولكل سياسى عدة وجوه وعدة أقنعة يقابل بها زواره وقد يبدل وجهه عدة مرات كل يوم ، وقد يتعامل مع الشخص الواحد بوجهين .. وقد يضع على المائدة أوراقا ويتعامل من تحت المائدة بأوراق أخرى .

والحكام لهم أجهزة مخابرات ، ولهم مخازن معلومات ولهم مخططات معلنة ، وخطط أخرى سرية ، وخطط ثالثة سرية جدا وخطط رابعة لا تكتب وإنما تنقل شفاها من الفم إلى الأذن بدون سميع ولا رقيب .

ومعظم ما يصلنا عن طريق شبكات الأخبار أكاذيب ومعلومات معدة سلفا لتوزع على شعوب العالم الثالث المرسوم له أن يعيش فى ضباب لا يعرف رأسه من رجليه .

المانشتات الكبرى المعلنة أن أمريكا جاءت على رأس ٢٨ دولة الى الخليج وأنها أثارت العالم وحشدت البوارج والطائرات والدبابات تحت لافتة انسانية براقة اسمها تحرير الكويت من عدوان صدام حسين .

○ ○ ○

ولكن الحقيقة التى ظهرت بعد أن انقشع الضباب وخبت نيران المعارك وسقط مائة ألف قتيل .. أن العدوان على الكويت تم باستدراج أمريكي .. وأن السفيرة أبريل جلاسبى أعطت لصدام الضوء الأخضر ليخترق الحدود قائلة له : أن أمريكا لن تتدخل لأنه لا توجد بين أمريكا وبين الكويت معاهدة دفاع مشترك .

ومن قبل ذلك بسنوات كانت ترسانة صدام حسين العسكرية تنمو وتكبر تحت عين أمريكا والحلفاء الأوروبيين وبمساعدتهم .

هم الذين أمدوه بالطائرات والصواريخ والدبابات والمدافع ، وهو الذين بنوا له ترسانته الكيمائية ومفاعلاته الذرية .. وهم الذين دفعوا به الى الدخول فى حرب مع إيران الإسلامية .

○ ○ ○

وكان ما تبقى من الخطة الأمريكية .. هو القضاء على هذه الترسانة وتحطيمها تماما واستنزاف الفوائض المالية العربية التى تكدست فى البنوك الأمريكية ، وافقار المنطقةالعربية وزرع الكراهية والفرقة والعداوة بين دولها بإثارة هذه الحرب التى سوف تقسم المعسكر العربى الى جانب متعاطف مع العراق وجانب ضده .. وافشال الانتفاضة الفلسطينية بإغراقها فى مستنقع صدام والتمهيد لاسرائيل كقوة وحيدة منفردة فى المطنقة .. ثم كحصاد جانبى لا بأس به .. خفض سعر النفط .. وتشغيل

مصانع السلاح الغربية وحل مشكلة البطالة وعلاج التضخم ورفع سعر الدولار .. ورفع رأس أمريكا كزعيمة وحيدة للعالم .. تآمر فتطاع ولا يرد لها كلام .

كل هذا كان وراء الكواليس .

أما على المسرح فلم يكن هناك إلا لافتة كبيرة مكتوب عليها .. عاصفة الصحراء .. حرب تحرير الكويت .. ثم تصفيق حاد وهتاف عالمي وشحن مستمر لكل أجهزة الإعلام وأخبار تنهمر من الأقمار الصناعية على كل أقطار المعمورة تحكى عن الحرب الانسانية .. والنجدة .. والأخوة .. والشهامة الأمريكية والجيوش التي جاءت على جناح الريح من أقصى الأرض لتنقذ شعب الكويت البائس المظلوم المطحون .

كان الفارق كبيراً .. وكبيراً جدا .. بين ما يقال وما يفعل .

وكان مايحدث أقرب إلى العاب السيرك منها الى مسرح الواقع .

ولم يصدق الكثيرون هذا الكلام ..

وظلت الأغلبية على إيمان بأن أمريكا كانت الملاك المنقذ ، وأن بوش كان الأب السماوى .

وألصق اخواننا الكوايتة صور بوش على زجاج عرباتهم وظلوا على إيمانهم بأنه نبى الرحمة فى هذا العصر .

ووضعت الحرب أوزارها وسكتت المدافع وأقلعت

البوارج وعادت الجيوش وبدأت كاسحات الألغام تقوم بواجبها .

لم يبق من كابوس الحرب المشئومة سوى ربعمائة بئر مشتعلة تنفث الدخان فى سحابة تسقط المطر كالحا أسود .

ثم فوجئنا بعد شهور بأمريكا وفرنسا تعلنان عن خطة لضرب العراق من جديد .. لنسف عشرين موقعا تدعى كلاهما أنها مواقع لأبحاث نووية لم يبلغ عنها وهى حرب جديدة تثير أكثر من سؤال :

انها هذه المرة حرب على بلد مهزوم مدمر محطم لا ماء فيه ولا كهرباء ولا مجارى ولا بنية أساسية . وعلى شعب يسف التراب ، وعلى صدام جديد مختلف تماما عن صدام القديم .. فهو هذه المرة عبد مطيع يطأطىء رأسه لأى إشارة من أمريكا .. أخرج من زاخو .. يخرج من زاخو .. أجلس مع الأكراد .. يجلس مع الأكراد .. افتح أبواب ما تبقى من ترسانتك للتفتيش .. يفتحها فورا ويضرب سلاما للمفتشين .. أبلغنا بمواقع ماتبقى من مواد نووية .. يبلغهم فى التو والساعة ..

ولا أظن أن عدوانا جديدا سيقع على الكويت .

فلا تبقى إلا مظنة أن يكون صدام يجهز فى المستقبل لإعداد قنبلة ذرية .. ولكن هناك أيضا مظنة بل أكثر من مظنة .. هناك يقين على الجانب الآخر فى اسرائيل أن عندهم بالفعل أكثر من مائة قنبلة نووية .. وعدوان

اسرائيل واقع كل يوم والهجرة مستمرة بالألوف وبعد سنوات تصل إلى ملايين .. ولا نية فى أن تنسحب إسرائيل ولو شبرا واحدا .. بل أن الظن هو مزيد من العدوان ومزيد من الاحتلال .. ومزيد من الظلم .

فكيف لا يحرك كل هذا انسانية أمريكا وعطفها ؟ !

وكيف لا ترى من الصورة .. إلا أن هنك بقايا قوة نسيت أن تدكها فى هذا الخراب الذى اسمه العراق .. وبقايا رجل اسمه صدام حسين .

هل اتضحت الصورة ؟ !

وهل علم من لا يعلم أن المسألة لا علاقة لها بأى انسانية ولا بأى ما نشتات تقرأ .. ولا بأى أخبار تذاع .. ولا بكويت ولا بقطر ولا بشعوب دبى والشارقة وأم القوين ، وانما كالعادة هى تحركات من وراء الكواليس .

وألعاب السيرك يغطى بها اللاعبون ألعابا أخرى .

تمثيلية وراءها تمثيلية ووراء الكل مصالح لناس أقوياء .

ولأن كلمة المصالح مستفزة ودمها ثقيل .. فيلزم أن توضع فى لفافة حريرية من الإنسانيات والمبادىء ، ويحتاج الأمر أحيانا إلى تأليف مسلسل تتداعى فيه الحوادث فى نعومة فيبدو كل شىء وكأنما يحدث بتلقائية ودون افتعال ودون أن تحركه يد .. ويشب الحريق كالعادة بدون فعل فاعل .. وغالبا ما يكون الفاعل الذى أشعل

الحريق هو أول من يأتى بعربات الاطفاء .. وأول من يتلقى التهانى على نجدته وانسانيته وقلبه الطيب .

ونحن كالعادة .. أول من يقرأ .. وآخر من يفهم .. لأننا لا نرى إلا المسرح .. ولا نعلم شيئا عن مطبخ التأليف وما جرى فيه قبل أن يقف الممثلون على الخشبة .

على هذا النمط كانت تجرى حوادث التاريخ دائما .

قرأنا أن الشيوعية قاتلت وقتلت وأعدمت وأحرقت من أجل الكادحين المطحونين المقهورين .. فهل أصاب هؤلاء المقهورون من خير الشيوعية شيئا .. أم أنها زادتهم قهرا على قهر ، وفقراً على فقر .

والثورة الفرنسية نسمع أنها قامت من أجل الحرية والعدالة .. فهل حققت العدالة أم قطعت رأسها على الجيلوتين .

وحينما دخل موسولينى إلى طرابلس غازيا لبس عمامة الإسلام وقال أنه جاء لينصر دين محمد !! فهل نصر دين محمد عليه الصلاة والسلام أم نصب له المشانق ؟ !

وقد سمعنا قصة التاريخ من أفواه مؤرخين كانوا فى خدمة هؤلاء الأقوياء الكبار وفى خدمة مصالحهم وقد كتبوا لهؤلاء السادة ما يروق لهم .

وما وصلنا كان أوراقا مزيفة لا تحكى الحقيقة .. وإنما تحكى عن ذكاء هؤلاء الكبار وعظمتهم وطيبة قلبهم وانسانيتهم .

○ ○ ○

وفى هذا الكتاب محاولة مختلفة .. لجمع ما تفرق من أوراق وحقائق وأكاذيب هذا اللغز العجيب الذى اسمه حرب الخليج .. وما فى هذه الحرب من سراديب ودهاليز ومتاهات يحار فيها اللبيب .

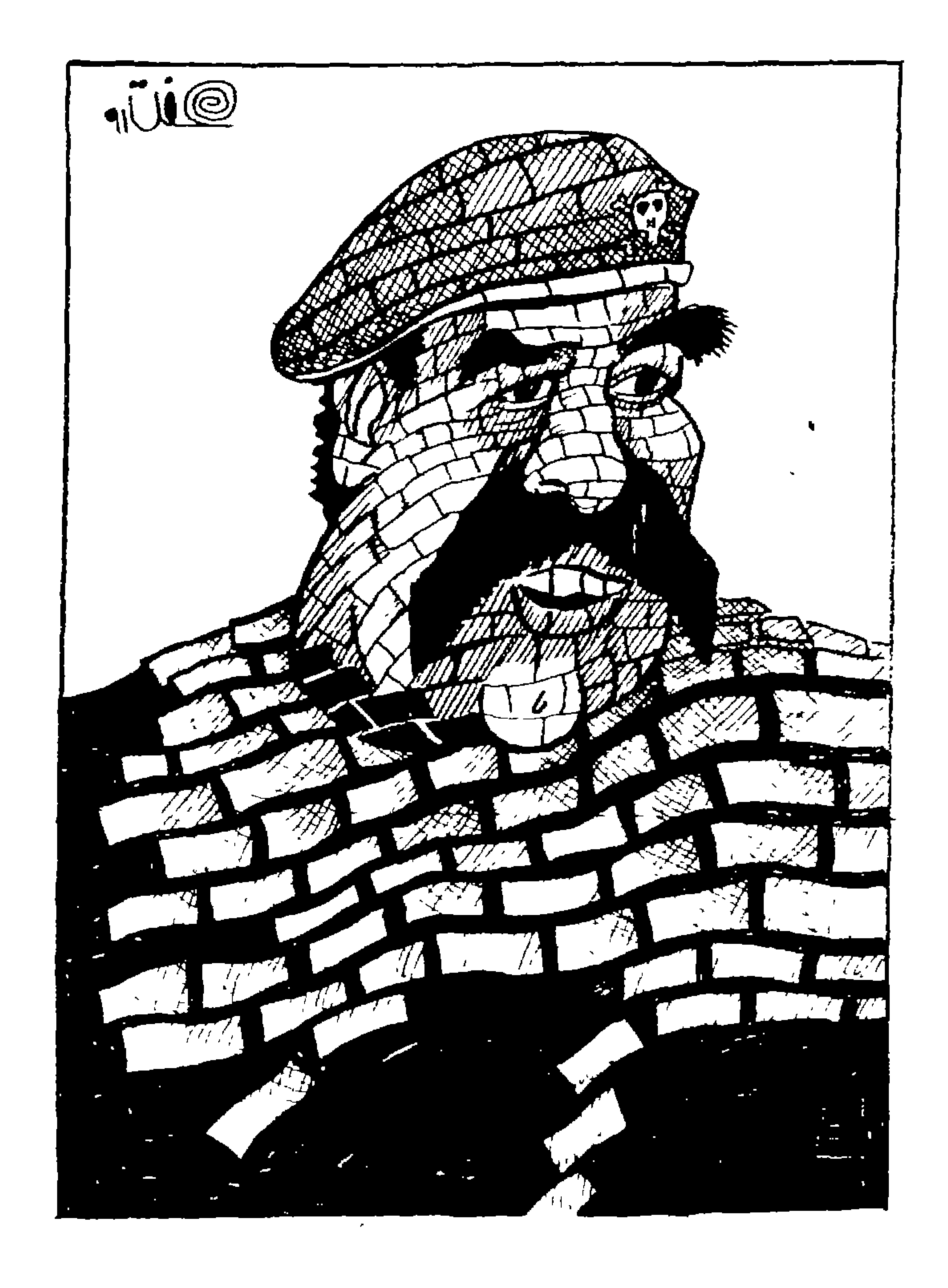
وما زالت نتائج تلك الحرب تتداعى .

وما زال مطبخ الحوادث يكشف لنا الجديد كل يوم .

ولا يعلم أحد أين ستلقى سفن التاريخ مراسيها .

ولا على أى صورة سيرث أولادنا وأحفادنا خريطة هذه التركة التى اسمها الشرق الأوسط .

د . مصطفى محمود



أيام الخــــوف

قبل الحرب . . .
وأزمة الخليج وصلت إلى
عنق زجاجة ..
حاجز الخوف والتهويل
والمبالغة والتحذير من حرب
عالمية ثالثة تأكل الأخضر
واليابس .. هذا الحاجز الوهمى ظل يرتفع ويرتفع حتى تحول إلى درع سميكة يستعملها صدام حسين لحمايته من أى عدوان .

والسؤال الآن هو : من صنع هذا الوهم ؟
ومن ظل يهول ويضخم فى قوة العراق وفى كفاءة جيشها وفى عظمة تسليحها وفى الرادارات الفرنسية والصواريخ الروسية والترسانة الكيمائية والمخازن الميكروبية والمفاعلات النووية .. وحرب الألف عام .. وصراع الفناء والهلاك والدمار .؟!!

لقد بدأت الحكاية كبضاعة عراقية رخيصة روجتها الأبواق العراقية .. ثم تلقفتها الصحافة الأمريكية وأضافت إليها خيالات الرأى العام الأمريكى الرافض للحرب ، وأبلغتها إلى منابر صنع القرار .. فلم يتوان بوش عن النفخ فيها بدوره ليعطى لنفسه مبررا للتكثيف العسكرى ولتحريك العالم بطائراته وعساكره وبوارجه وغواصاته ومدرعاته ، وليثير مجلس الأمن ليصدر القرارات ، ويهيج الأمم المتحدة لتسارع بالتحذيرات ..

وليقول للعالم فى زهو : ان انتصار أمريكا هذه المرة هو انتصار على هتلر آخر وقضاء على مارد آخر من مردة التاريخ .

وسارع يهود البورصة وسماسرة الكوارث الى الاستفادة من المناسبة فنفخوا فى النار أكثر لترتفع أسعار البترول إلى الذروة ، وليرتفع الذهب ، ولتتضاعف الأرباح وتمتلىء الجيوب .

وتلقف المعسكر العربى الضالع مع صدام الإشاعة لينفخ فيها أكثر وأكثر .. ووقف الملك حسين يهدد العالم باشتعال البترول وتصاعد سحب الدخان واحتجاب الشمس والموت بردا فى عصر جليدى قادم ، أو الموت حرا بسبب اتساع ثقب الأوزون .. إلى آخر هذه السذاجات التى اختنقها خياله .

وسكت المعسكر العربى الآخر الواقف مع أمريكا عن هذا التهويل ، والبعض خرج عن سكوته ليساهم فى موجة التخويف اتقاء لحرب قد تتسع لتعصف به وبسلطانه .

وهكذا كبر مارد الخوف بما يتغذى عليه من أوهام من جميع الأطراف .. ليرتد فيقيد حركة جميع الأطراف ، وليصل بهم الى حالة من الشلل وانعدام القرار.

وبدأت الأزمة تدور فى حلقة مفرغة من التهديد وتكديس السلاح ، ثم الخوف من استعماله ، ثم تهديد آخر ، وتكديس آخر لمزيد من السلاح ، ثم الوقوف محلك سر .. لا حرب ولا سلام .

والذين أطلقوا الإشاعات صدقوها ، ثم أصبحوا ضحاياها هم أنفسهم !.

والرأى العام صدقهم وانطلق فى مظاهرات ترفض الحرب وتقيد أيدى صناع القرار أكثر فأكثر .

وبداية الحكاية كانت كذبة .

إن صدام حسين هتلر آخر .. وأن جيشه لا يقهر .. ومدده من السلاح لا ينفد .. وصواريخه سوف تصل إلى رؤساء الدول فى غرف نومهم .. وأنه سوف يحرق بترول العالم . وأنه سوف يفنى نصفه فى حرب لا ترحم .. وأنه سوف يذيب جلود الأمريكان بالغازات ويشوى أبدانهم بالحرائق .. وكلها مزاعم ساذجة .

فلا صدام حسين هتلر .. ولا جيشه قوة لا تقهر ..

وقد دخل جيش صدام الحرب لثمانى سنوات مع جيش إيران المهلهل الضعيف فلم يستطع أن يحقق نصرا أو يحتل شبرا .. ولم يستطع أن يحرق بترول إيران ولا بعض آبارها .. ولم تحقق له أسلحته الكيماوية تفوقا .. ولم تحسم له معركة .

ولم يكتسح صدام حسين روسيا كما فعل هتلر ، وإنما اقتحم جارة ضعيفة بلا جيش هى الكويت يمكن اقتحامها ببضع موتوسيكلات .

انها حكاية نمر من ورق ، وأسد من قطن ، وجيش ضعيف يحركه الخوف من قواده .. وقواد يحركهم الخوف من المهيب الركن .. وهرم من الشعارات والهتافات لا يصمد لضربة واحدة .

وصدام لا يستمد قوته من نفسه ولا من جيشه وانما من خوف الآخرين .. من خوف التجمع الرابض على الطرف الآخر .. وكلهم جاءوا من بلاد بعيدة لاتربطهم لغة ولا جنس ولا عقيدة .. هم خليط من الشرق والغرب ، لا مصلحة لأحدهم فى أن يبقى بعيدا عن أهله لحظة واحدة .. ومن ورائهم دول متقدمة تخاف هى الأخرى على رخائها واقتصادها ورجالها .. وزعماء يخافون على أصوات ناخبيهم ويخافون الصحافة ويخافون الرأى العام ..

○ ○ ○

وبوش من هذا الخوف بين نارين .. بين فقدان مصداقيته وناخبيه وسلطانه وكرسيه إذا زج ببلاده فى حرب .. وبين فقدان الهيبة الأمريكية إذا انتهى كل هذا الضجيج إلى لاشىء وانفجر كبالونة هواء ، وخرج صدام حسين منتصرا ومعه تنازلات عربية ومكاسب إقليمية بلا حرب وبلا ضرب .

وخروج صدام سليما معناه خروج العراق سليمة بترساناتها وأسلحتها وجيشها .. ومعناه بقاء التهديد وبقاء الخطر .. وربما تراكمه مع الأيام لينفجر بقوة أكبر وعلى جبهة أوسع فى مناسبة أخرى .

ولن يكون صدام أبدا قوة للعرب بل عليهم ..

وقد حارب صدام كل جيرانه العرب وتآمر على القريب والبعيد ولم يحدث ان ألقى حجرا واحدا على اسرائيل حتى بعد أن نسفت له مفاعله الذرى .

ولا أساس لأى ظن يفترض أن قوة صدام ستكون درعا للعرب ضد اسرائيل .

وتاريخ صدام هو أقرب للعمالة منه لأى شىء آخر .. فهو مرة عميل لروسيا ، ومرة عميل لأمريكا ، ومرة عميل لفرنسا ، ومرة عميل لنفسه .. لنزواته ولطموحاته .. وهو مغامر يريد أن يشغل العالم بترديد اسمه مدحا أو ذما أو خوفا .. المهم أن يظل فى الصفحات الأولى من كل الجرائد ، وأن يظل الخبر الأول فى كل النشرات .. وفى سبيل ذلك لا يتورع أن يتخذ العروبة مطية ، والإسلام وسيلة ، والاغتيال مركبا ، والمال أداة .

وتلك صفات كلّ الطغاة والجبابرة .. فهم لا يرون طول الوقت إلا أنفسهم ولا يسمعون إلا صوتهم ولا يشهدون فى الآخرين إلا مرايا تعكس سلطانهم . لا تردعهم إلا هزيمة تقصم الظهر .

يقول الله سبحانه وتعالى فى حديثه القدسى :

« الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من
نازعنى فيهما قصمته »

ولاندرى هل اقتربت النهاية القاصمة .. أم أن الله ما زال يمد فى الحبل زيادة فى الامتحان ..

وكلنا فى امتحان .. صغارنا وكبارنا ..

وشكرا للخوف .. فإنه هو وحده الذى وضع أيدى الجميع على الفرامل ..

حتى المهيب الركن .. الجديدى الأعصاب .. كف يده

عن العدوان .. خوفا .. وأحسبه أوفر الجميع نصيبا من الخوف ، ورغم بروده ورغم شعارات التهديد التى يطلقها من وقت لآخر إلا أنه يرتجف فى باطنه .. وهو يرى مصير الذين سبقوه .. موسولينى المعلق من رجليه .. وشاوتشيسكو الملقى إلى جوار الحائط كخرقة مهلهلة مزقها الرصاص .

وكل الجبابرة جبناء رعاديد .. وسبب قسوتهم هو خوفهم وجبنهم .

حتى المارد الأمريكى خائف هو الآخر من مصير مثل مصير حرب فيتنام ، والعالم بكافة دوله يخاف على البترول ويخشى صواريخ الأسعار وتقلبات الاقتصاد .

والأنظمة العربية الهشة تخشى من الهزيمة وتخشى من الانتصار .. وتخشى من طول الانتظار .. ومن تبدل الأقدار .

اسرائيل وحدها هى التى تخاف خوفا عكسيا .. فهى وحدها التى تخاف من الصلح وتخشى أن تفلت الفرصة الذهبية ويعبر العالم على حاجز الشوك دون حرب ودون ضرب ودون خراب .

وصدام بلا شك يستثمر هذا الخوف العام استثمارا جيدا لصالحه .. وهو يحرص على أن يغذى هذا الخوف كلما بدأ يخبو وينفخ فيه بالتهديدات والانذارات .

ولأن أمريكا ذات وجهين وجه إلى العرب ووجه إلى اسرائيل فهى ليست ملاك الانقاذ الأمثل ، بل هى ذاتها أحد

مصادر الخوف .. ولهذا يتلفت العرب مرة إلى روسيا ومرة إلى الصين فى بحثهم عن مزيد من الأمن .. ولا أمن هناك .. ولا ملجأ ولا مرساة يتشبثون بها .

هل يؤدى هذا الخوف العام إلى اختيار حلول وسطى للخروج من الأزمة ..؟

أم أنه سيؤدى إلى شلل عام ؟

أم أن هناك من سيضرب البحر بعصاه لينهى هذا الخوف بضربة واحدة وليكن ما يكون ؟!

أم ستظل حالة الشلل الرعاش سائدة لعدة شهور العلم عند الله ..

وأرجو ألا يفقد أحد الأطراف صبره فيتعجل النتيجة بحرب مفاجئة .. فالحرب سوف تقلب الموازين بدرجة يصعب معها التنبؤ بأى شىء .

ولا أرى خيرا فى مساومة أو صلح مؤسس على التنازلات .. فنحن أمام مجرم له تاريخ فى المناورة ، وله سجل حافل بالمظالم والشرور ولا يجوز اعفاؤه من العقاب .. وأى صفقة مع مجرم هى جريمة ..

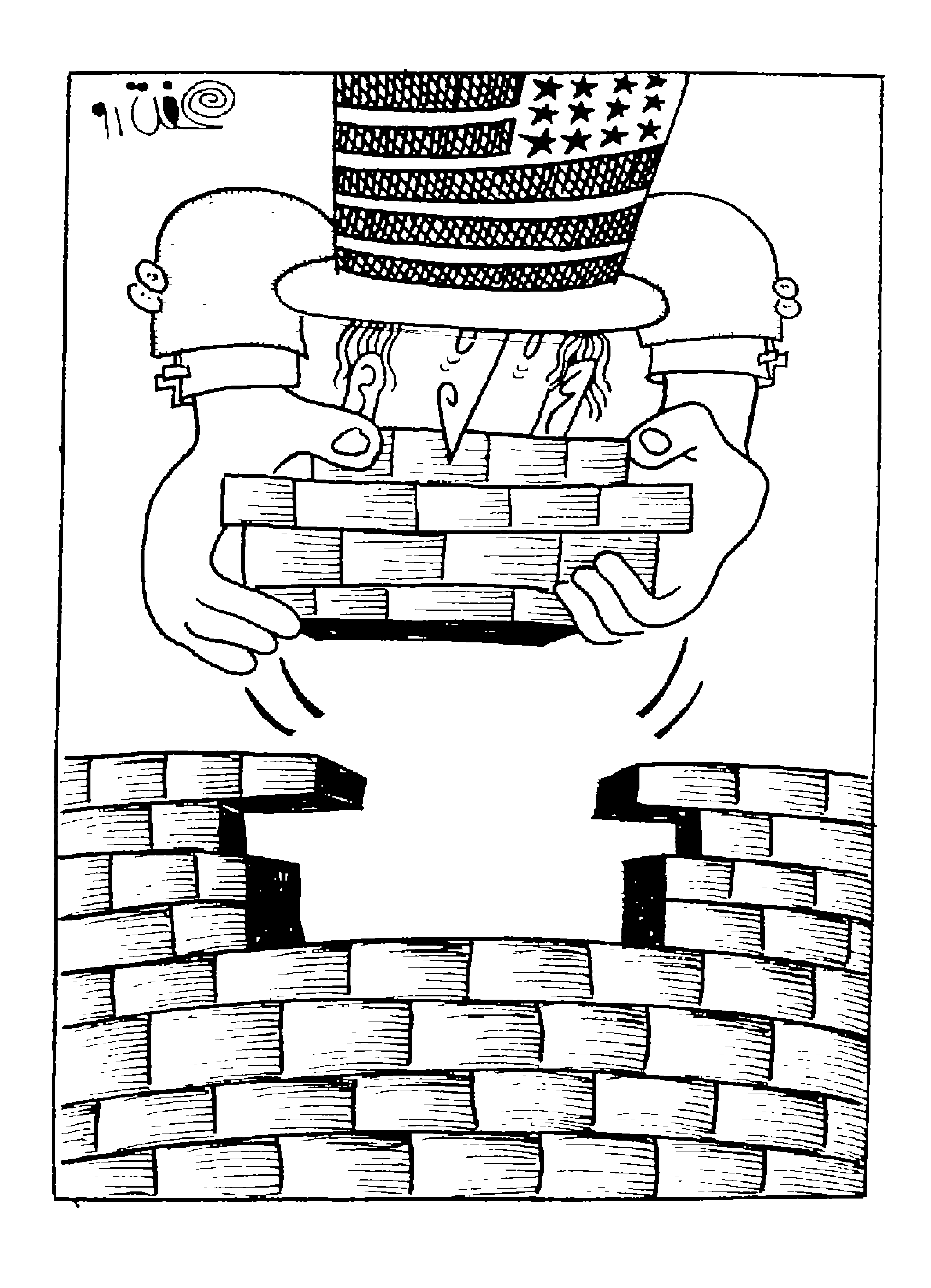
ولا أحسب أن الله سيعفيه من العقاب حتى لو أعفيناه نحن .. وإنما مصيره عند الله مثل مصير الظالمين الذين قال عنهم فى قرآنه .

﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾

وإذا كان قد بدأ اللعبة بسباق فى البرود .. فلنكن آبرد .

ولكنا نذكره بأن طول الحبل لا يطمئن .. لأنه هو نفس الحبل الذى سوف يلتف حول عنقه فى النهاية لتكون القارعة .

● ● ●



الحـــرب

حرب الخليج التى نشبت
كانت طرازا عجيبا فى تاريخ
الحروب .. على أحد الجانبين
رأينا أكبر تجمع من ثمان
وعشــرين دولــة بعتــادهــا
وعسكرها وبوارجها وحاملات
طائراتها وغواصاتها ودباباتها .. وكلهم يفعلون شيئا واحدا .. يقصفون العراق من الجو والبحر والبر بأكبر سيل من القدائف والمتفجرات - ١٢٥ ألف طلعة هجومية حتى الآن .. وجرائدهم تهتف فى كل طلعة .. صدام .. صدام ... صدام ...

حفلة صيد .. والكل وراء صدام ..

يحرقون غابة ليصطادوا ثعلبا .. ثم يقولون فى النهاية أنهم لا يريدون الثعلب .. بل يريدون شيئا آخر .. يريدون تحرير الكويت .. لماذا إذن كل هذه الآلاف من الأطنان من القنابل تلقى على العراق .. حتى تسلم لهم الكويت بدون مقاومة .. ويدخلوها آمنين دون أن تراق قطرة دم .

من أجل توفير الدم الأمريكى يراق الدم العراقى شعبا وجيشا بكافة أنواع الأسلحة .. أمور عادية فى منطق الحروب .. وهكذا كان منطق الحروب دائما .. لاغرابة ..

وتؤكد أمريكا أن هجماتها انسانية .. وأنها خلال ١٢٥ ألف غارة لم تستهدف المدنيين .. ومع ذلك تقول نشراتها العسكرية .. أن الطائرات نسفت اثنين وستين

كوبري ومحطات مياه ومولدات كهرباء ومجمعات مجارى ومراكز للتليفون والبرق والبريد وخطوط للسكك الحديدية وطوابير عربات النقل وآلاف المخازن بمحتوياتها .. أى أن المواطن إذا قدر له أن يعيش لن يجد الماء ولا الكهرباء ولا التليفون ولا أى شىء مخزون يقتات عليه .. ولا مواصلة ولا كوبرى ولا سوق يبيع فيه ويشترى .. وسوف يموت رعبا وجوعا ..

وفى آخر غارة ضربت الطائرات الأمريكية مخبأ للغارات يختبىء فيه ٢٨٠ من الأطفال والشيوخ والنساء وقتلتهم جميعا .. واعترفت أمريكا أن الأمر التبس عليها .. معلهش .. هذا يحدث دائما فى أكثر الحروب انسانية .. لاغرابة ..

وللحق والإنصاف نقول إن استهانة الجيش الأمريكى بشعب العراق لا تختلف كثيرا عن استهانة صدام بشعبه وتقديمه لقمة رخيصة لقنابل الأمريكان ليفنى عن آخره فى مقابل أن يحتفظ بماء وجهه .. هذا إذا كان فى وجهه أى بقية من ماء .. والحق أن وجهه خلا من الماء ، كما أن وجه خصومه خلا من الدم .

وبين وحشية الغارات الأمريكية ووحشية القرار الصدامى راح الشعب المسكين ضحية .

ذلك هو اللامعقول الأول فى هذا الجنون الذى يجرى على أرض الخليج .

أما اللامعقول الثانى .. فإنه لا يوجد كاسب واحد فى هذه الحرب .. الأطراف العربية الداخلة فيها سوف

تخسر مدخراتها واستثماراتها وأموالها وثروتها البترولية ورجالها وآبارها وسلاحها ثم مستقبلها .. فهى غدا إذا انتصرت سوف تتدخل اليد الأمريكية لتعيد تخطيط المنطقة على هواها وعلى هوى حلفائها الأوروبيين .. وقد سمعنا المظاهرات فى أمريكا تهتف انا لا نحارب لنثبت الشيوخ على ملكهم ..

المستقبل إذن للنظم الديمقراطية الشعبية والانتخابات والاستفتاءات والحكومات المنتخبة .. ومجالس الشعب .. ومجالس الشورى .. الخ .. الخ .. الخ ..

والاقتصاد البترولى لن يعود فى يد الأوبك وإنما سيعود إلى القبضة الأمريكية لتحدد السعر الذى يناسبها ويناسب المجموعة الأوروبية . ست عشرة دولارات للبرميل على الأكثر ..

ما المكسب إذن .. انى لا أرى مكسبا واحدا من هذه الحرب للمجموعة العربية ، ولن يخفف من المأساة أن صدام المجرم سيكون مقبوضا عليه أو مقتولا أو معلقا من رجليه أو ملفوفا فى كفن أحمر مكتوب عليه إبليس عدو البشر .. فالحقيقة أن الساحة قد امتلأت من بعده بعشرات الأبالسة والشياطين ممن يتفوقون عليه فى المكر والخديعة .. فما حدث فى هذه الحرب أنها قد استدعت كل المنتفعين من شياطين الأرض فجاءوا من أرجاء المعمورة كل منهم يريد أن يحصل على لقمة من الكعكة .. وأصبحت وليمة للقتل .. فتة .. تتزاحم عليها السكاكين والشوك .. والضحية شعب برىء هو نفسه رهينة وسجين فى يد صدام ..

حتى ميتران المنافق الذى نادى بانسحاب متزامن مع وعد بمؤتمر دولى .. ما لبث آن سحب اقتراحه حينما اشتعلت الحرب واسرع بطائرات الميراج يدك العراق ليحصل على نصيبه من الفتة ..

ودوجلاس هيرد وبيكر راحا يترددان فى زيارات مكوكية على الشيخ جابر الصباح فى سويسرا ليوقع لهما على عقود لشركات أمريكية وانجليزية سوف تبنى الكويت .. وتصلح الآبار .. وترمم الديار .. وتقيم المصافى وتعيد المصانع الى حالها مقابل ستين مليار دولار .

لقد هدموا وقبضوا ثمن الهدم فواتير عاجلة !!

وغدا يبنون ما هدموا ويقبضون مرة أخرى (ثمن البناء) بفواتير آجلة .

وإذا بلغت الكويت والعراق حدود الاستدانة فسوف يفتح بيكر وهيرد خزائنهما فى كرم حاتمى ليقترض الكويت والعراق بضمان البترول ما يشاءان .. فالخطة هى افقار الأغنياء وإضعاف الأقوياء حتى لا يعود هناك صوت قادر يخشى منه ويصبح الكل مدينا ومحتاجا .

أما اللامعقول الثالث فى هذه الحرب التعسة .. فهو أن الحروب تقوم عادة من أجل إحقاق الحق ومن أجل إشاعة السلام ومن آجل مستقبل أكثر آمنا .. ولكن هذه الحرب سوف تؤدى إلى العكس .. سوف تخلف عداوات وفتنا وبغضاء وكراهية وثارات .. ولن يعود بعدها أحد صديقا لأحد .. وسيضرب العرب بعضهم رقاب بعض .

وسوف يسيح الإرهاب طليقا يطلب الانتقام وتصفية الحسابات .

واسرائيل تعلم ذلك وهى لهذا تشعل النار أكثر وأكثر كلما بدأت تخبو .. وتطمس على أى حل سلمى يظهر فى الأفق .. وتمارس ضبط النفس رغم الصواريخ التى تنزل عليها .. ولا تمد يدها لترد .. حتى لا يتحول التيار .. وينطفىء الضرام .

ومنطق اسرائيل ان يستمر هذا الغباء والحمق والانتحار إلى نهايته .. وأن تحصد هى الثمرة فى النهاية .. فلا كاسب فى كل المجموعة سواها ..

وهى لا تخشى المؤتمر الدولى بعد الحرب لأنها تعلم أنه لن يقدم ولن يؤخر ، وإذا أصدر قراراته لاسرائيل بالانسحاب من الأراضى المحتلة .. فإنها لن تنسحب ، وإذا أصدر قرارات بفك المصانع النووية والكيمائية والبيولوچية .. فإنها لن تفعل ..

وهناك أكثر من عشرين قرارا سابقا للأمم المتحدة منذ ٢٣ سنة لم تنفذها اسرائيل .

○ ○ ○

أما اللامعقول الرابع فسيكون من نصيب العرب .. أن يعودوا مائة سنة إلى الوراء .. دولا تابعة .. تأخذ الخبرات والمعونات والقروض من الآخرين . دولا فقيرة متنافرة متباغضة ترتع فيها الفتن وصيحات الانتقام وتأكلها الأحقاد ويمرح فيها التخلف .

وبالنسبة لأمريكا سوف يعلو نجمها .. فالشرق الأوسط

كله سيعود إليها بقواعده وخططه وأسلحته وأمنه وشعوبه .. عودة سعيدة من منطلق الكرم وحسن الضيافة مع دعوات بطول الإقامة .

- نهاية عجيبة .. وكوميديا سوداء مما يكتبه كتاب اللامعقول أمثال صمويل بيكيت .. الصديق يقتل الصديق ويهتف للعدو .. والشهامة تنتحر .. والعقل يفلس .. والحكمة تبور !

ولا أظن أن هناك حلا أو مخرجا بعد أن تداعت الحوادث مسرعة إلى ثمارها المحتومة ولم يعد هناك مجال لفتوى أو نصيحة ، وإنما أقول ما أقول لكى نفهم ولكى نعرف العدو من الصديق ، ولكى لا تخدعنا الشعارات ، ولكى نرى ما نحن مقبلون عليه .

ولو أن القصة عادت من أولها .. ونادت السعودية تستنجد بمصر لاستجابت مصر ولما فعلت إلا ما فعلته .. وما كان لها أن تفعل إلا ما فعلت .. ولو أن السعودية والخليج استنجدت بأمريكا لأسرعت أمريكا إلى تلبية الطلب وجاءت مهرولة كما جاءت ، ولما كان لها أن تفعل إلا مافعلت .

إن ما جرى يا اخوان كان فيه حبكة القدر وكان « البد الذى ليس منه بد » والحتم الذى ليس منه مهرب .. فهو ترتيب قدرى .

ولاشك أن الله له حكمة فى كل هذا ، لعل الله بهذه المأساة السوداء أراد أن يكشف جميع الأطراف ويفضح مخططاتهم .

لقد أوقع الجميع فى الابتلاء ليخرج المكتوم من نياتهم .

هكذا يفعل بالناس قائلا في قرآنه ..

﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ .

أراد أن يخرج المكتوم وراء ابتسامات النفاق وقبلات الدبلوماسية وبروتوكلات المجاملة .. أراد أن يضع السيف على حد الرقبة ليقول كل واحد الحقيقة وينطق بالصدق .

واعتقادى أن القصة بدأت وأننا مازلنا فى البداية .. وأن هناك فصولا متعددة قادمة ، وأن الستار سيرتفع عن أشياء وأشياء .. فإنه لاشىء يجرى فى ملك الله عبثا .. وان ظهر فى مرحلة أنه اللامعقول بعينه .. فإنما هو فصل من رواية .. وفى الفصل الثانى ترتفع الستار لنعرف أكثر ولنرى أن ما شاهدناه لا معقول .. كان هو عين المعقول .

وقريبا يستسلم صدام أو يقتل مهزوما ويسدل الستار على الفصل الأول من هذه الجريمة الكبرى التى دخلت التاريخ تحت اسم « طلب نجدة » .

فماذا تظنون الستار ستفتح غدا وعلى أى مشهد ؟ !.

ستفتح على مشهد ذهبى لاسرائيل تعلو فيه وترتفع وتزغرد وتبنى المستوطنات وتستقبل آلاف المهاجرين وتضاعف عدد قنابلها النووية وتضاعف عدد بوارجها وغواصاتها من منحة الـ ١٣ مليار دولار التى فازت بها من

بوش ثمن السكوت وما خفى كان أعظم .

بينما سيتجمع العرب شراذم متنافرة متباغضة منقسمة على شبابيك تموين جمعيات الأمم المتحدة الخيرية ليقبضوا المعونات والقروض وليتعاقدوا مع الشركات ومع البنائين المحظوظين من آمريكا وانجلترا وسويسرا وفرنسا .. من الذين كانوا يمطرونهم بالقنابل بالأمس .

وهذه هى الدنيا .

وما بقى من فصول المأساة لا تجدونه إلا فى الكتب الدينية القديمة .

فإن اسرائيل التى ستعلو وتعلو وتطغى وتفسد لن يستمر علوها طويلا .. هكذا تقول الكتب .. فما تلبث آن ترتكب الخطآ الذى يقضى عليها ، وحينذاك ينهدِم بنيانها ويتحطم هيكلها للمرة الأخيرة وبنفس الأيدى العربية التى ظلموها وشتتوها وتآمروا عليها .. ويدخل المسلمون المسجد كما دخلوه أول مرة .

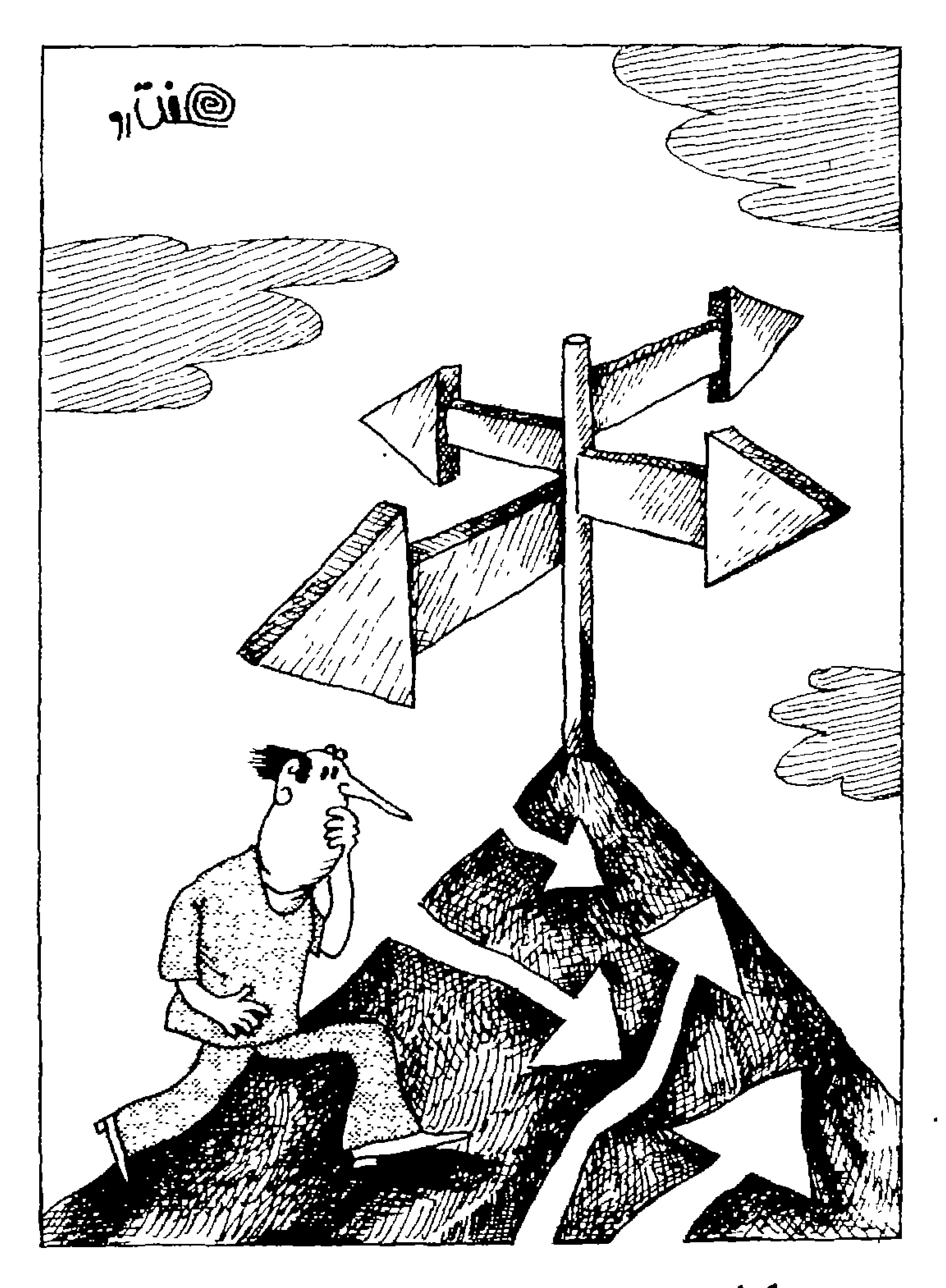
متى يحدث هذا ؟.

ليس فى حياتنا ..

ربما فى حياة أولادنا أو أحفادنا أو أحفاد أحفادنا .. ولكن دولة الظلم لا تدوم .

وفوق مكر الماكرين .. هناك مكر الذى خلقهم .. والذى لا يفلت من يديه ظالم .

● ● ●



الخـــروج من ..
أو حــال الخليــج

ما حدث فى الخليج لم يكن منفصلا عما حدث على شاطئى المتوسط والأحمر ، وعما جرى فى الدول العربية بشكل عام .. فمنذ الخمسينات هبت على المنطقة العربية عاصفة من الانقلابات والديكتاتوريات والنظم الفاشية والحكم الفردى أعقبتها شبكة عنكبوتية من النظم الاشتراكية سقطت فى أوحالها شعوب ودول ونظم عربية .

وتحولت الأفكار الاشتراكية إلى أصنام مقدسة يحرق لها البخور ، وتطلق الأناشيد ، وتنظم المسيرات وتحتكر الصفحات الأولى فى .ميع الجرائد .. وبالتالى تغسل العقول ، وتخنق الحريات ، وتكسر الأقلام ، وتعلق المشانق ، وتملأ السجون باسم العدالة والحرية وحقوق الكادحين .. وساهم المسرح والسينما والتليفزيون وكتيبة ممن سموا أنفسهم باليسار التقدمى فى عملية التعمية الشاملة وترسيخ الاستبداد وتبرير الظلم .

ولم يكن صدام حسين هوالوحيد فى هذه السلالة التى انفردت بالناس وإن كان أشدها قسوة وأكثرها تطرفا وجلافة

وكانت دول الخليج والنظم الملكية من المغرب غربا إلى اليمن جنوبا إلى السعودية شرقا عدوا مستهدفا لهذه النظم ..

وقد بدأ الشرخ فى الجبهة العربية منذ هذا التاريخ وبدأ الفكر التآمرى من ذلك اليوم البعيد ..

وكان الحلم الإجرامى الذى كان يراود كل هذه الديكتاتوريات هو قلب نظم الحكم تحت لافتة انسانية جذابة هى إعادة توزيع الثروات وإنصاف الفقراء من ظلم الاغنياء ، وخلق جمهوريات على نمط الجمهوريات السوفيتية تؤمم فيها كل الأنشطة الاقتصادية ويتحول كل المواطنين الى موظفين داخلين فى ذمة الدولة التى تستولى على كل شىء وتنفرد بكل شىء وتتولى كل شىء فى حياة المواطن ، من ميلاده إلى موته فى مقابل أن يتنازل لها عن روحه وعقله تشكلهما كما تشاء على وفاق المنهج الماركسى .. وعلى هدى نظم بوليسية لا يفتح أحد فيها فمه ..

وكان بدء سقوط هذه النظم من داخلها .. بانقلابات داخلية .. وهزائم .. وانهيارات اقتصادية .. ثم بدأت تأتينا أخبار الزلزال من الخارج .

ثم جاء الطوفان .. وسقط سور برلين .

ووقف نوح القرن العشرين (جورباتشوف) ليفضح الكذبة الكبرى التى روجها السوفييت وفرضوها على أوروبا الشرقية بالمدافع والصواريخ والبوليس والمخابرات .. وليعترف بالانهيار الاقتصادى والتخلف والإفلاس والمجاعة التى تهدد الاتحاد السوفيتى بسبب المنهج الاشتراكى الفاسد .

ورأينا لأول مرة وبعد ستين سنة من الثورة البلشفية

عمال المناجم السوفييت مهلهلين فقراء يعيشون كل ستة في غرفة واحدة بلا ماء وبلا كهرباء ولا يجد الواحد منهم صابونة يغتسل بها .

ووجد جورباتشوف الجرأة ليقف في وجه ستين عاما من الكذب والفساد وليقول الحقيقة وليقرر التخلى عن المنهج الاشتراكى والعودة إلى اقتصاد السوق وإلى الانفتاح على الغرب وإلى التعددية الحزبية .

ورأينا روسيا تطلب الخبز والقمح من أمريكا ، ومعونات الشتاء من أوروبا ، والخبرة التكنولوچية من ألمانيا الغربية واليابان .

ووقفت الاشتراكيات التابعة فى البلاد العربية مشدوهة وقد تعرت بدورها لأول مرة بعد سقوط الكعبة الأم فى الكرملين .. ولم تجد ما تقوله .

وفقد كتاب اليسار ذاكرتهم ، وترنحت أقلامهم على الورق تكتب أى كلام وكف أكثرها عن الكتابة .. وغرق بعضها فى المراجع والمتون يطلب نجدة .. والذين فقدوا حياءهم لم يجدوا مانعا من أن يقولوا أى شىء .

ولم يجد صدام مانعا بعد سقوط راية الاشتراكية من يده من أن يرفع راية الإسلام .. فقد كان فاقدا للمبدأ والحياء منذ البداية ..

ثم رأينا ما كان يضمره طول الوقت ..

لم يكن اشتراكية ولا إسلامية .. ولا وحدة عربية .. ولكن التوسع والغزو والاغتصاب والنهب .. كان كل ما يريده ..

وحدث ماحدث من الشريط المؤلم الذى رأيناه ، والكابوس السياسى الذى عشناه بدءا بغزو الكويت .. والذى انقسم العرب فيه ليحاربوا بعضهم بعضا .

ولم يكن هناك مفر من إخراج صدام عنوة من الكويت بمساعدة القوات الأمريكية وضرب الصناعات العسكرية العراقية والبنية الأساسية لبغداد والبصرة من الجو لتعجيزه عن الرد .

وعلى البر الآخر أحرقت القوات العراقية المنسحبة ستمائة من آبار الكويت لإفقار الكويت لعدة سنوات .

وما زال صدام قابعا فى مخبئه فى بغداد محاصرا بثورة مضادة فى الشمال وثورة مضادة فى الجنوب ومؤيدا ببقية من حرسه الجمهورى !!

ولايوجد أمامه إلا مشروع موت بطيء .. أو هرب .. أو انتحار .. أو قتل يختصر نهايته .

أما ما تبقى من الخريطة العربية .. فهى خريطة اشلاء تحاول أن تجتمع .. وجراح تحاول أن تلتئم ..

ولكن الخروج من أوحال الموقف يجب أن يبدأ من البداية .. من بداية الكارثة .. من نظم الحكم الفردى ومن الهياكل الاشتراكية الفاسدة .. التى كانت السبب الأول للشرخ السياسى فى المنطقة والتى قسمت المنطقة إلى يمين ويسار ورجعية وتقدمية إلى آخر هذا القاموس من الأكاذيب المفتعلة ..

وهذه الأكاذيب المفتعلة هى التى أنجبت بدورها الكذبة الكبرى المعسولة .. إعادة توزيع الثروة وإحياء الوحدة

العربية بالغزو وشرعية السطو والسرقة والمصادرة لصالح المطحونين والمسحوقين والكادحين .. إلى آخر الموال القديم

ولن يكون هناك خروج من هذا الوحل إلا بالخروج من هذا الموال المبتذل وما يتبعه من نظم حكم فردية وعصابات تحكمية وقوانين بوليسية .. وأكاذيب أيديولوچية .

وفي مصر حددنا ألف يوم للخروج من هذه الأوحال الاشتراكية .

ألف يوم لنخرج من الدعم والخمسين فى المائة عمال وفلاحين والمجانية والعشوائية وبيروقراطية التصدير والاستيراد والقوانين التى تغلق على الاستثمار والانفتاح بالضبة والمفتاح وتعوق انطلاق الطاقات الفردية فى أن تتحرر وتبدع وتنطلق وتكسب وتشغل الأيدى العاطلة ..

فهل نسير بالسرعة المطلوبة .. وهل نتحرك .. أم أننا نتكلم ونجتمع وننفض فى لجان ؟.

ولماذا ننتظر ألف يوم حتى نصدِّر الكتاب المصرى والمنتجات المصرية الى الخارج فى حرية دون أن نقبض على المصدِّر لأنه لم يتلق أمواله فى موعدها بتهمة التهريب .. وكيف يكون انتشار الكتاب المصرى فى الأسواق العربية تهريبا .. وكيف يكون عبور المواهب المصرية الى الأقطار العربية على جناح الكتاب تهريبا .. لماذا لايعدل هذا القانون فورا دون انتظار ؟!

هذه أمور لا تحتاج لألف يوم .. لأنها بداهات .. وانقاذ التعليم من التكدس والزحام واللا جدوى .. بداهة أخرى عاجلة .

ان طلاب اليوم فى هذه الفصول المجانية المكدسة والتى لا تتلقى بالفعل أى تربية أو تعليم هم وزراء الغد .. فأى وزراء سيكونون وهم بهذه الصفة من الجهل والبطالة والضحالة العلمية .

وبماذا يفتى خمسون فى المائة من الفلاحين والعمال فى مشاكل الكمبيوتر والهندسة الوراثية ومشاكل الأوزون والبيئة وبدائل الطاقة . وما هو محصولهم العلمى ليشاركوا فى هذه القضايا التى هى قضايا العصر والساعة ..

هل هم مجرد متفرجين .. أم مجرد مصفقين ؟!.

وما هى إضافاتهم الحقيقية .. فى وقت مطلوب من كل فرد فيه أن يكون إضافة حقيقية لا مجرد صورة وبطاقة عضوية ؟!

○ ○ ○

وما يقال فى مصر لابد ان يقال مثله فى ليبيا وسوريا واليمن والسودان إذا أريد بالفعل الخروج من أوحال الموقف الحالى .. وإذا أريد الحصول على صحبة فعالة وأيد حرة تشارك فى تغيير المصير ..

إن التحدى اليوم هو اسرائيل .

وهو تحد لا يواجه بالهتافات والشعارات والمزايدات .

وإنما بالعلم والاقتصاد والصناعة المتطورة والسلاح المكافىء واتحاد الكلمة ووضوح الموقف .

وعلى مصر أن تأخذ حجمها فى هذه الجبهة المتحدة ، وأن يسمع صوتها ويعرف ثقلها .. ولا بد ان تنتهى الحساسيات والتحيزات والتحفظات إذا أريد لهذا الجمع الفعال أن ينشأ .

وهناك وقت مطلوب لإصلاح البيت الداخلى فى كل دولة ، ولإصلاح مداخلنا الى البيوت الأخرى ، وإلى إصلاح حوارنا ولغاتنا وتغيير مواقفنا التقليدية ومخاوفنا العائلية .

وإذا كان إصلاح البيت الداخلى سيحتاج إلى ألف يوم ..

فكم ألف شهر آخر سيحتاج بناء الهيكل العربى الكبير وإصلاحه وترميمه ؟!.

إن إيقاع التاريخ فى زماننا أسرع من أن ينتظر آلاف الشهور وآلاف الأيام .

إن الدنيا تجرى .. تهرول .. تلهث .

والعلم يتطور وذاكرات الكمبيوتر تبلع كل يوم من المعلومات والإحصاءات أضعاف ما عرف التاريخ فى ألف سنة مضت ..

وفى كل يوم تخرج نظرية ويولد اختراع .. فمتى نتابع ونتعلم ونهضم ونجد الفرصة لنخترع بدورنا وندخل فى مجال المنافسة ؟!.. ونحن إلى الآن مكبلين باللجان التى

تجتمع وتنفض ، وبالقوانين العتيقة التى انتهى عمرها الافتراضى .. والتى ما زالت تحكمنا من مقابر الغفير .

مطلوب شجاعة تواجه هذا كله .

ومطلوب حزم وبتر .

وجامعاتنا التى تحولت إلى مدارس ثانوية من الدرجة الثانية تعج بالضجيج والزحام وتمضغ محاضرات وملخصات انتهت موضاتها .. والمعامل خلت من الأجهزة .. وطالب الطب لايجد فرصة ليفحص مريضا أو يمارس التشريح بيده أو يجد موطىء قدم ليشاهد جراحة .. وطالب العلوم لايجد مختبرات على مستوى العصر .. وطالب الفلك الذى يذهب إلى مرصد القطامية يفاجأ بالمرصد متوقفا منذ شهور بسبب المرآة التى فى حاجة إلى طلاء أو إصلاح أو استبدال لا أحد يدرى .. وهو يعرف من كتبه ومقرراته أن علوم الرصد الفلكى سبقت الآن مرصد القطامية بكثير ..

مطلوب شجاعة تواجه هذا كله ، ومطلوب أموال توضع فورا فى مكانها لإصلاح هذه كله .

ليس عيبا أن نكون فقراء .. ولكنها جريمة أن نكون متخلفين .

والعقل لايعرف مستحيلا .. وهو يستطيع أن يبدأ من الصفر ..

واليابان بدأت من الصفر .

والمانيا الغربية بدأت من تحت الصفر .

وكوريا الجنوبية بدأت من تحت الصفر .

ولكن المناخ الحر والديمقراطية. والفرص المتاحة والهيكل السياسى المرن فتح الباب على مصراعيه للعمل والتنافس والخلق والإبداع فارتفع البناء فى سنوات قليلة وحدثت المعجزة ..

واليوم .. نسمع عن المارك الألمانى والين اليابانى .. والصناعات الألمانية واليابانية تقتحم على أمريكا أسواقها ..

لسنا فى حاجة لألف يوم لكسر قيودنا .

ونقول للخائفين من ردود الفعل : أن الماضى المتراكم بأخطائه سيفجر الموقف بما يشتمل عليه من بؤس وبطالة وعجز بأخطر مما يفعل أى تغيير .. لأن التغيير سوف يعد بالأحسن .. أما البقاء على ما نحن فيه فإنه لا يعد بشىء

وأعود فأكرر :

إن الخروج من أوحال الخليج يبدأ من هنا .. ونفس الكلام ينطبق على كل بلد عربى .. على سوريا وليبيا والسودان واليمن والعراق والجزائر والمغرب وباقى الأخوة .. فلغة التقدم أصبحت كلها لغة واحدة .. ومفرداتها هى هى فى كل مكان ..

والرد على التحدى الاسرائيلى .. يبدأ من نفس المنطلق .

وعلى الإسلاميين أن يتجاوبوا بنفس اللغة .. وأن يتقنوا نفس المفردات .. فالإسلام يضع العلم على رأس

أولوياته والشورى على رأس سياساته ، وهو ليس غريبا عن هذا القاموس الجديد من الديمقراطية والحوار

أما أعداء الإسلام الذين لا يرون من الإسلام إلا اللحية والجلباب والقبقاب والتعصب والجمود على السلف فهم خارج الموضوع .. وهم أيضا خارج التاريخ ..

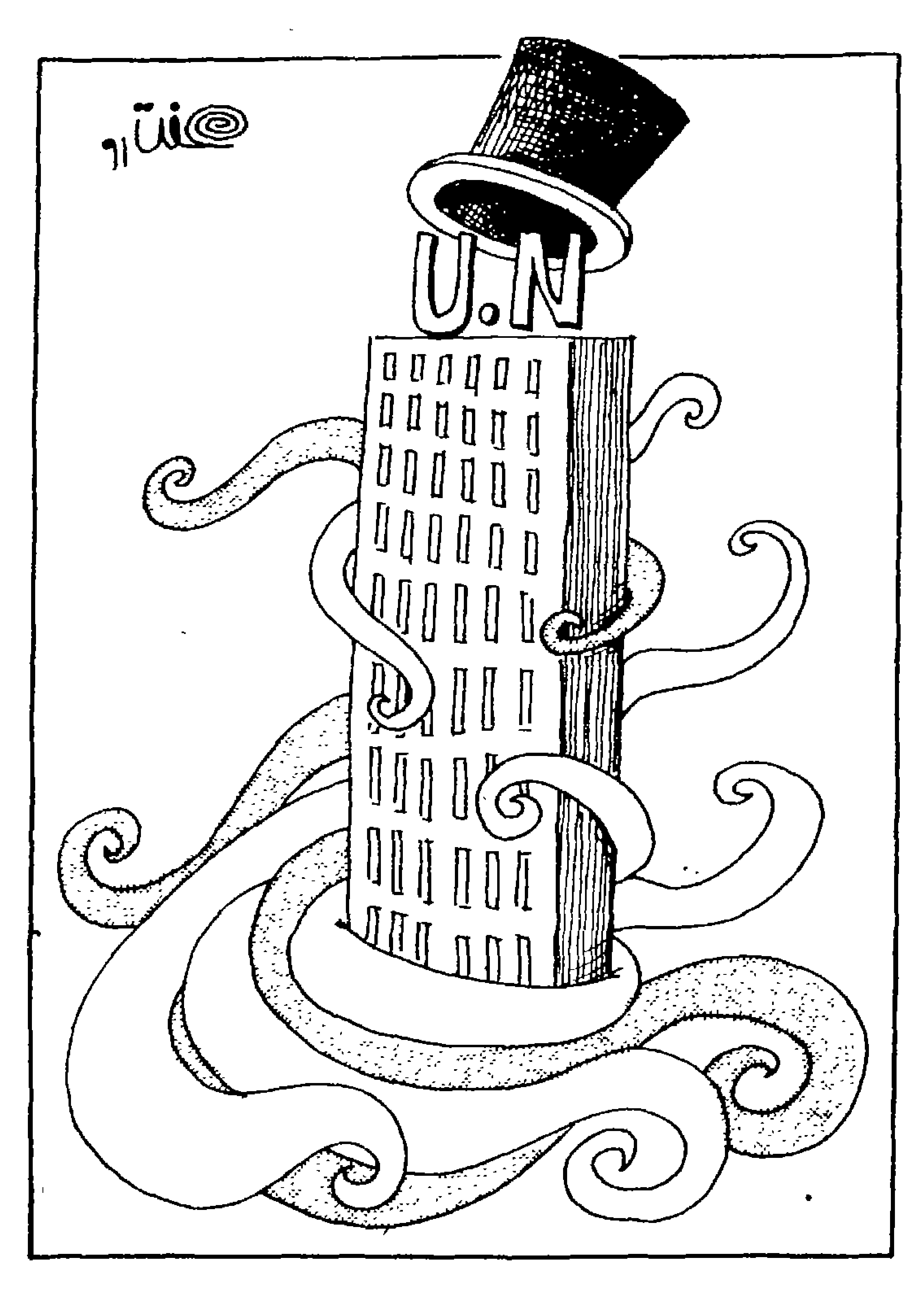
وقد جاء الوقت ليتحرك الأزهر من موقف المحافظة والتقليد الى ساحة الاجتهاد والإبداع .. فالإسلام نفسه دين متفجر لا يتوقف عطاؤه . وآيات القرآن تسبق العصر دائما بما تحوى من معان متجددة .. والتفسير القرآنى لا يتوقف عند ابن عباس وابن كثير والطبرى والزمخشرى .. بل هو مستمر فى العطاء الى آن تقوم الساعة ..

الحركة . الحركة يا إخوه . فقد طال الركود والجمود والسكون حتى كاد يسلمنا الى الشلل .

الحركة فى كل شيء وفى كل ميدان . وفى كل مجال .. فالحياة ذاتها حركة والفكر حركة

ولاسكون إلا للموتى .

● ● ●



المستقبل الملبد بالغيوم

وأخيرا سقط صدام ونظامه
الفاجر ..
وعدد القتلى من جنود صدام
في التقديرات الأولية مائة
وخمسون ألفا .. ومثلهم من
الأسرى ، ومن المدنيين
أضعاف ذلك ، ومن الدبابات أكثر من أربعة آلاف دبابة معطوبة ومن الطائرات المئات .. والبنية الأساسية فى العراق على الأرض .. لا ماء ولا كهرباء ولا اتصالات ولا سكك حديدية ولا صرف صحى .

ولا شك أن أمريكا وانجلترا وفرنسا سعداء بهذه الفرصة النادرة التى منحتها لهم حرب الخليج .. فقد جربوا أسلحتهم الجديدة .. وكان الألوف من القتلى والدمار الفورى الذى ظهر على شاشات التليفزيون إعلانا مجانيا طيبا لشركات السلاح الأمريكية .. فارتفعت أسهم الباتريوت ونزلت أسعار الذهب وارتفع الدولار .. وتواضع سعر برميل النفط من ثلاثين دولارا إلى سبعة عشر دولارا رغم إحراق الآبار الكويتية وتوقف العراق عن بيع مخزنها النفطى .

ومعنى ذلك .. أن النفط فى طريقه إلى النزول أكثر فأكثر .. وأفواج العمال والمهندسين والخبراء فى طريقها من أمريكا وانجلترا إلى السعودية والكويت لإعادة تشييد ما تم تدميره .. ومصانع السلاح تعمل بكل طاقاتها لاستعواض السلاح الذى تم تحطيمه .. كله مكسب ..

لقد كانت حرب الخليج جرعة منشطة للاقتصاد الأوروبى والأمريكى ، وعلاجا فوريا للبطالة ومصدرا جديدا للدخل
ولم يكن رضا أمريكا ولا غضبها فى أى يوم من الأيام علامة على عدالة حاكم أو فساده .
وتتوارد على خاطرى أسماء طغاة سفاحين سقطوا .. شاه إيران .. ماركوس .. نورييجا .. دوفاليه .. أورتيجا .. وأخيرا صدام .
ولم يكن السبب المشترك لسقوطهم هو طغيانهم .. ولكن سبب آخر ننساه دائما هو موقف أمريكا من هذا الطغيان . فبعض هؤلاء صنعته أمريكا وساندته ودفعت به إلى مقعد الرياسة وأيدته وسلحته مادام يوظف طغيانه لحسابها . فلما بدأ يخرج عن الدور المرسوم ويعمل لحسابه تغيرت المانشتات وتغيرت الصفحات الأولى فى الجرائد وظهرت لغة جديدة فى الإعلام الأمريكى وفى السياسة الخارجية الأمريكية تقول أنه مجرم وأفاق وطاغية يجب بتره واستئصاله .
ولم تكن أمريكا القاضى العادل النزيه كل مرة . فقد وضعت أمريكا يدها فى يد السفاح ستالين ، ووضعت يدها فى يد الطاغية الدموى تشاوتشسكو وكانت تعطيه ملايين الدولارات مرتبا شهريا كعميل مخلص .. كما تعاملت مع فرانكو وسالازار وسوموزا وومونجستو هايلاماريام ديكتاتور أثيوبيا .
وحتى هذه اللحظة هناك أكثر من طاغية يتلقى الدعم والتأييد والسلاح من أمريكا وهو فى أمان مادام هو

رجلها .. ومازالت اسرائيل إلى هذه اللحظة تدك بيوت الفلسطينيين بالطائرات وتتلقى مليارات الدولارات والتأييد والفيتو من أمريكا .. وما كانت حرب الخليج بحرب مبادىء بل حرب مصالح .

ان أمريكا التى انفردت الآن بالكون ليست الإمام العادل عمر بن الخطاب ، ولا يصح أن نتعامل معها من منطق التسليم وتقديم فروض الولاء والطاعة والعبادة .. وإنما من منطق المساءلة والمحاسبة .

○ ○ ○

لقد انتهت حرب الخليج .. ولكل حرب غنائم .. إلا هذه الحرب فكلها خسائر على جميع الأطراف العربية .. خسائر فى المال وفى الرجال وفى الثروة البترولية ، وفى العمار الذى تحول إلى دمار ، وفى الشمل الذى تفرق ، وفى الوحدة التى تبعثرت ، وفى المستقبل الذى تحول إلى تربص وثارات وعداوات .. وفى المصير وفى السمعة .

لامكسب واحد ..

الذين لعبوا اللعبة بذكاء و « حرفنة » هم الانجليز والأمريكان .. أخذوا أموال العرب وأفقروا أغنياءهم وأضعفوا أقوياءهم ودخلوا أوصياء فى الخلاف الذى صنعوه .. وفى النهاية صدام مازال موجودا .. والخريطة « العربية باقية » على ما هى عليه .. مع فارق واحد بسيط .. انه أصبح فى كل دولة خازوق اسمه الخوف من الجار المتربص .

وفى غمرة الخوف العربى ـ العربى سوف يتوارى الخوف العربى الاسرائيلى .

والعرب الأيتام فى مأدبة اللئام .. أصبحوا جميعا ضعفاء وفى حاجة إلى أب روحى يحميهم من بعضهم البعض .. والأب الروحى جاهز وممدود اليدين .. وهو العم سام الطيب الودود الذى يوزع القمح على الجميع بالقروض والمعونات ، ويوزع الأسلحة التقليدية التى لايصل مرماها إلا إلى الجار العربى (ولا تطول اسرائيل أبدا) .. ويفتح لهم حضنة الحنون ويضمهم كالأفراخ الضالة فى حظيرة ربيبه الصهيونى حتى تتربى الأفراخ على كراهية كل ما هو عربى ، وعلى معايشة اسرائيل الكبرى والحب والولاء لأمريكا القائمة على العدالة فى الأرض ورمز الديمقراطية والحرية ، وحارس الأمن على اتساع الكرة الأرضية كلها .

○ ○ ○

وغدا تكون الصراعات القادمة هى صراع حضارات فى مواجهة حضارات .. واقتصاد فى مواجهة اقتصاد .. وعلم فى مواجهة علم .. وتكنولوچيا فى مواجهة تكنولوچيا .. ومخابرات فى مواجهة مخابرات .. وأعلام فى مواجهة اعلام .. وفن دعائى فى مواجهة فن دعائى .

وسوف تتوارى الأخلاق كعنصر له وزن وسوف تتوارى القيم .. ولن يبقى منها إلا اسمها كماركة

للدعاية والترويج للأفكار الزائفة .. ولن تبقى إلا غابة من المصالح المفترسة ..

وسوف يختفى الدين فى ظاهر اللعبة ويتوارى فى المساجد رغم أنه سيظل القنبلة الزمنية الموقوتة الكامنة فى باطن الصراع كله .. فكل الحملات محشودة ضده وكل القوى الإعلامية موجهة إلى رموزه ..

ان الصهيونية (وهى المدفعية الضاربة) منتشرة كالأخطبوط فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن والكونجرس ومجلس العموم ومجلس اللوردات وإدارات المخابرات وشركات صناعة الأسلحة والطائرات والصواريخ والمفاعلات النووية .. وهى فى مؤسسات النشر والصحافة والكتاب والتليفزيون والسينما والمسرح ..

وهى القابضة على أعصاب البورصات والبنوك والأسهم والسندات وأسواق البترول والذهب والماس والبرونز والنيكل والحديد والألومنيوم وكل ما يباع ويشترى ويصنع منه شيء .

والصهيونية ممتدة بأذرعها الأخطبوطية حتى فى الفاتيكان وفى الهيئة البابوية ..

ألم تستطع .. أن تمحو عبارات اتهام اليهود بصلب المسيح من الانجيل المتداول بموافقة البابا وبركته .. ووضعت التهمة على رأس الرومان والغوغاء .. وطبع الأنجيل الجديد فى تل أبيب معدلا .

الصهيونية إذن هى التى ستكون القوة الفاعلة الوحيدة فى العصر القادم من وراء العباءة الأمريكية ومن وراء تمثال الحرية العتيد .

وسيكون هدفها تعقب الإسلام ورموزه ، وضرب معاقله وتشويه اسمه والقضاء على ما تبقى من منابر العروبة المنهارة ، والدفع بالحملة الصهيونية تحت شعارات بريئة .. مثل ضرب الرجعية ومحاربة التخلف وتحرير المرأة والقضاء على التطرف ، وحرية الفن ، وحرية الجنس ومحاربة الكبت والتسامح الدينى ، وإقامة المعسكرات الشبابية لتكون مرتعا للانحلال المشروع تحت حراسة مؤسسات الدولة .. وترويج افلام الجنس والعرى والعنف ونشر المخدرات .

والقضاء على الشباب هو وسيلتهم للقضاء على المثالية والقضاء على الروح .. والقضاء على الأمل فى التغيير .. والقضاء على المستقبل ..

وتلك كلها جبهة واحدة من جبهات الحملة الصهيونية .

وهناك جبهات أخرى تجرى فى خفاء أكثر .. لتدمير الاقتصاد ولخلق الأزمات والإثراء من انهيارات البورصة .

وجبهة ثالثة أكثر خفاء هى سرقة الأسرار العسكرية لصناعة السلاح المتقدم وتكديسه وانشاء مدن تحت الأرض وطرق ومخازن ومطارات تأهبا لليوم الموعود والأمل المنشود .. يوم يغنى آل صهيون .. من النيل إلى الفرات يا اسرائيل .. ويوم ينتقمون لهزيمة خيبر .

هكذا يخططون .. وهكذا يحلمون .. كما يقول تلمودهم وكما يقول كتابهم بروتوكولات آل صهيون وكما تقول توراتهم .. وكما تقول أفعالهم ومؤامراتهم .

وهم يرون الآن أنهم قطعوا نصف الطريق إلى الكعبة .. فقد قضوا على العروبة بأيدى العرب .. وأصبحت الساحة بطول وعرض الشرق الأوسط خالية لفرسانهم .. فالأرض مليئة بالجرحى والضحايا .. وجميع الأطراف يلعن بعضها بعضا .. والفقر والخراب والانقاض والدبابات المحترقة تسد الطريق أمام خمسين عاما آتية من التخلف .

ولن يتركوا جراحنا تلتئم بل سيلغوا فيها وينفثوا فيها بسمومهم فيجعلوا الأخ يتوجس من أخيه ، والابن يشك فى أبيه حتى يصبح الكل فى عين الكل متهم .

سيكون همهم توسيع الجرح وتكريس الذل .

وسوف يحسبون حسابا لكل شىء إلا رحمة الله .. فهى شىء لا وجود لها عندهم .. وإذا وجدت فهى لهم وحدهم .. فالرب هو ربهم وحدهم .. رب اسرائيل وداود ، وبقية البشر أميون مسخرون لا يعبأ الرب بهم ولا يهتم فى أى واد هلكوا .

○ ○ ○

ولكن رحمة الله قادمة .. ونحن أهلها .. فما أرسل الله نبينا إلا رحمة للعالمين .. وذلك وعد غير مكذوب .

وما هذا البلاء إلا مقدمة لتلك الرحمة .. فهو نار المطهر

التى قضى الله بأن ندخلها جميعا .. فقرآننا يقول :

﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا ﴾

« ٥٧ - الإسراء »

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ فإن مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ﴾

« ٥ - الشرح »

أى لا يأتى عسر إلا ويحف به يسران ورحمتان .. فابشروا واعملوا .. فلا ييأس من رحمة الله إلا القوم الضالون .

اعملوا واكدحوا الى الله بطلب العلم وليس بتربية اللحى وتقصير الجلاليب ولبس القباقيب والتمسك بالمظهريات والثانويات .. فإن أول آية نزلت فى كتابكم .. هى :

اقــرأ ...

أمر مباشر من الله بالقراءة وطلب العلم والبحث والتفكر والتأمل .

وقد أمر الله بالعلم والعمل فى أكثر من ألف وخمسمائة موضع فى القرآن الكريم .. فكيف نكون أمة الجهل والكسل وهذا كتابنا ؟!

وكيف نرجو رحمة الله ولا نطيعه ؟
وكيف نعلق المصاحف فى رقابنا ولا نعمل بها ؟!
وكيف نتمتم ونحوقل على المسابح بما لانفهم وبما لا نعقل وبما لانعمل وكيف نجعل من شهر صيامنا شهر أكل وسهر وسمر ولهو

العلم أولا والعلم ثانيا والعلد ثالثا والعمل بما تعلمناه رابعا والهمة دائما ومكارم الاخلاق والصدق مع النفس والصدق مع الله اخيرا هذا ديننا

لنبدأ عهدا جديدا إذا اردنا ان يكون لله معنا عهد جديد

ولنغير من نفوسنا حتى يغير الله من أحوالنا فقد غربت شمسنا واشتمل علينا ليل حالك مدلهم لا يطلع فيه نجم

فلنعمل ولا نألوا جهدا حتى لا يطول علينا انتظار الفجر

○ ○ ○

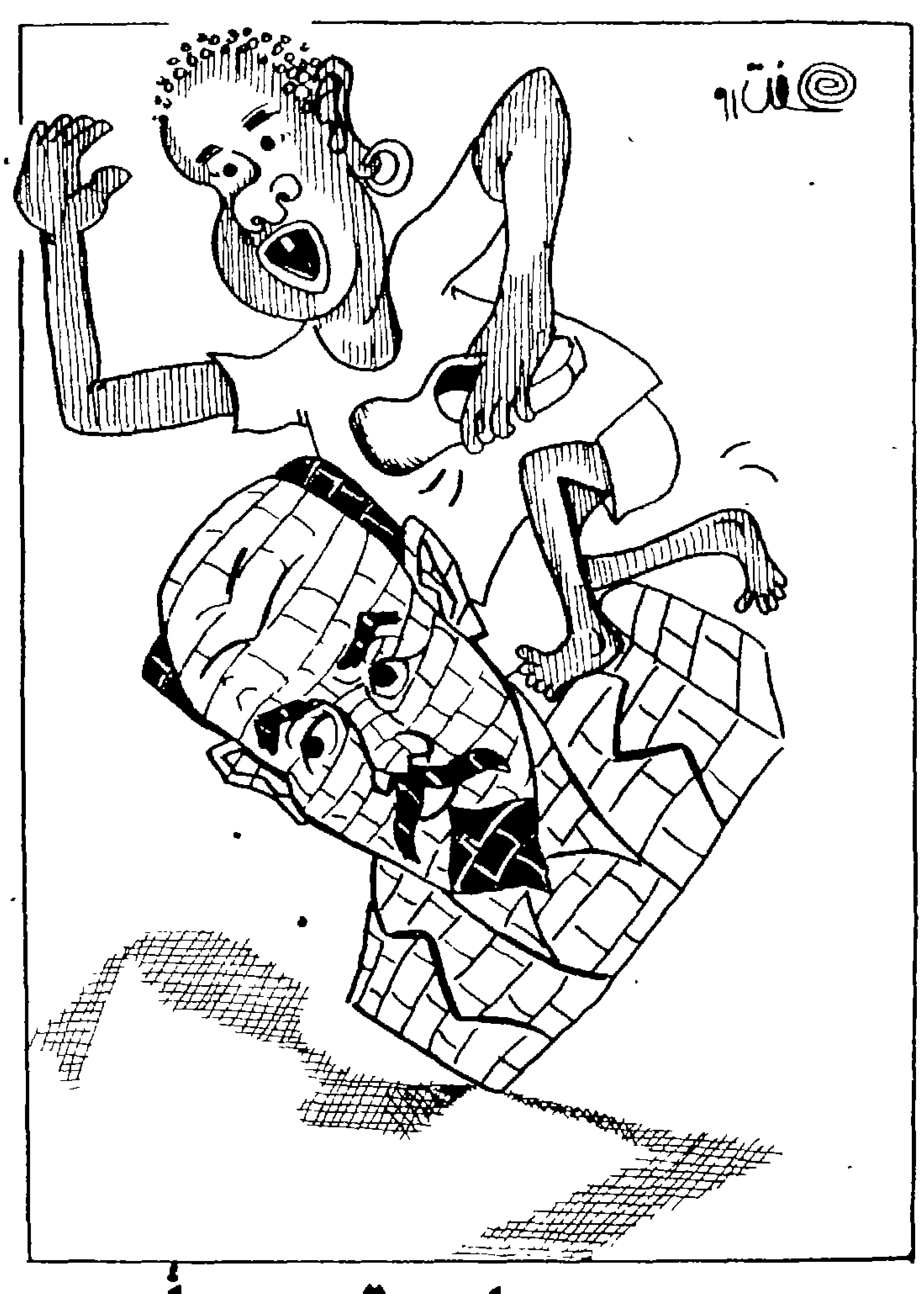
والحزانى منا على سقوط صدام ظنا منهم أن صدام كان مسلما مثلنا أقول لهم فى يقين بل كان عدوا فاجرا لا ذمة له ولا عهد ولا كلمة ولا إسلام وكان عميلا للفئة الباغية ولم يكن يعبد سوى نفسه . ولقد ذهب إلى حيث يذهب أمثاله

والذين صدقوه خدعتهم نفوسهم الطيبة وسذاجتهم
وهكذا نحن فى مصر عيبنا تلك الطيبة والسذاجة
وأننا نصدق على التو كل من يقول يارب .

ونظن أنه مثلنا مؤمن سليم القلب لأننا ننظر إليه بمرآة قلوبنا . وليس بعقولنا الناقذة الفاحصة

ولعلنا نتعلم من الدرس ونكف عن هذه البلاهة .. ونستعمل ذكاءنا .. ولو قليلا .

● ● ●



روسيا .. تتبرأ
من اسم لينين

في الخمسينات من هذا
القرن هبت رياح الاشتراكية
على معظم دول العالم الثالث
لتحمل اليها الخراب والدمار
والفساد السياسى ولتتركها
أنقاضا .. وحمل لواء تلك
التحولات التى كانت أشبه بمرض انهيار المناعة أو الإيدز
السياسى أسماء نذكرها جيدا أمثال عبد الناصر والأسد
وصدام والنميرى وحسين إرشاد وسياد برى ومانجستو
وأنور خوجة وتيتو وأورتيجا وكاسترو .. ..

وكلهم نقلوا هذه العدوى إلى بلادهم على طريقة زرع
الأعضاء ..

وكالعادة انتهت عملية الزرع الخطأ إلى رفض الفكر
المزروع ، وإلى انهيار البنية الاجتماعية والسياسية لتلك
البلدان ، وحدث نفس الشىء فى كل بلد دخلته
الاشتراكية .

وزحف الموت حتى وصل إلى روسيا الأم التى ظلت
تتآكل من الداخل حتى أشرفت على الهلاك ، وأدركت
حكامها صحوة ضمير ، فوقف جورباتشوف ليقول ان
روسيا اختارت الطريق الخطأ وان الاقتصاد الاشتراكى
أصاب بلاده بالدمار .. عند ذلك فقط فتحنا عيوننا على
الحقيقة .

وكانت صدمة اهتز لها العالم وسقط من بعدها الاتباع
وانفرطوا كحبات المسبحة !!

كان آخرهم مانجستو المطرود فى زمبابوى وما زال الانفجار المتسلسل مستمرا . وما زالت بقايا السلاله الاشتراكية تتساقط واحدة بعد أخرى .

و آخر خبر سمعناه كان من اهالى مدينة لينينجراد الذين طالبت أغلبيتهم بتبرئة مدينتهم من اسم لينين والعودة إلى اسمها القديم سان بطرسبورج

○ ○ ○

و آخر مشهد رأيناه على التليفزيون كان لفلاح أثيوبى ينهال على تمثال لينين ضربا بالحذاء !

ولكن الشيوعية التى دخلت روسيا بالسلاح وسفك الدماء . والتى قامت على الإرهاب والسجون والمعتقلات . والتى ضربت بجذورها فى البنية الاجتماعية لا يمكن اقتلاعها إلا بالدم والكفاح والعذاب مرة أخرى

والخمس عشرة جمهورية سوفيتية التى تؤلف الاتحاد السوفيتى والتى تتفكك الآن بعد أن ذابت المادة اللاصقة التى تربطها .. **(ولم تكن تلك المادة اللاصقة سوى قبضة الدكتاتورية الحديدية)** .. الآن وقد خفت تلك القبضة الحديدية . وضعف النظام المركزى فى موسكو . بدأت تظهر قيادات فى كل جمهورية تطلب الاستقلال والانفصال . ومع ارتفاع الأسعار والبطالة واختفاء السلع .. بدأت كل جمهورية تحاول أن تستقل بخيراتها وتنفصل باقتصادها وتقطع التزاماتها نحو الحكومة المركزية ..

جمهوريات البلطيق الثلاثة .. لاتفيا ولتوانيا

واستونيا .. وجمهوريات جورجيا وأوكرانيا وأرمينيا وأذربيجان وكازاخستان حتى بيلوروسيا التى اشتهرت بهدوئها اكتسحتها الاضرابات .

أكثر من ثلاثمائة ألف من عمال المناجم فى أوكرانيا أضربوا .. وكذلك عمال السكك الحديدية فى جورجيا .. وعمال المصانع فى جبال الأورال .. وأغلب وسائل النقل البرى متوقفة .. ومؤسسات الدولة مشلولة .. ودعائم النظام تتهاوى .

وجورباتشوف يطالب بمزيد من السلطات ليواجه الموقف ..

والمظاهرات الآن تطالب بذهاب جورباتشوف .. فقد وعد بالخبز والحرية فلم يأت إلا بالجوع والبطالة والغلاء والفوضى .. والآن ها هو ذا يلوح بالعصا الغليظة ..

ويالتسين عدو الشيوعية اللدود - تحمله أصوات الناخبين إلى الرياسة .. وبين قوى الحرس القديم من ناحية وقوى الديمقراطية من ناحية أخرى يتمزق النسيج الواهى للاتحاد السوفيتى وينذر بكارثة .

قد يسأل سائل .. ولماذا لم يترك جورباتشوف الشيوعية على حالها .. مستورة بعيوبها تحت حماية الدبابات وحراسة الـ K.G.B. ..

ولماذا لم يدع الشعب مقيدا فى سلاسله كما فعل لى بنج فى الصين ؟!.

والجواب أنه لم يفعل ما فعل غراما بالديمقراطية ..

وانما فعله كحل وحيد أمام انهيار اقتصادى كامل .. كان النظام سيتعرى به والشيوعية ستفتضح ، والعامل لن يجد ما يأكله بسبب عدم كفاية الانتاج وانهيار الصناعة والزراعة وتخلف النظام أمام تنافس رأسمالى سيقضى عليه ، فلم يكن من الممكن ألاستمرار فى الكذب .

بعد سبعين سنة من الشعارات اختفى فيها المخزون السلعى وهبط الروبل الى الصفر ، لم تعد أجهزة الإعلام أو جبروت الـ .K.G.B يستطيع أن يصنع شيئا أمام حقيقة سوف تفتضح ، ومجاعة سوف تعلن عن نفسها .. فلم يجد الرجل بدا من المصارحة ..

ولم تكن البيرستوريكا سوى المصارحة بالكارثة ..

وبفضل تلك المصارحة وبفضل أوروبا الشرقية التى قدمها رشوة للرأسمالية الأمريكية استطاع أن يتلقى المعونات والمساعدات والكساء والغذاء الذى عبر به شهور الشتاء القاسية .. وبفضل تلك المصارحة استطاع أن يعفى نفسه من نفقات حرب عقيم فى أفغانستان ومعونات لاشتراكيات فاشلة مثل اشتراكية كوبا وانجولا ونيكاراجوا وموزمبيق ، واستطاع ان يتخفف من التزاماته نحو شيوعيات طفيلية مثل شيوعيات المانيا الشرقية والمجر وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ، واستطاع أن يوقف النزيف العسكرى الذى كان يجرى تحت عنوان :

ثورات العالم الثالث .

وأعانته تلك المصارحة على عبور شهور عجاف .

ولكن المصارحة كانت طوال الوقت تعمل عملها فى داخل المجتمع الروسى .. كانت تعمل على تآكل أعمدة البناء الكاذب الذى أقامته سبعين سنة من الدجل الماركسى .. وكانت الأرض تحت قدميه تتآكل هى الأخرى .. والمؤسسات تتكشف .. والنظام ينحل .. والجمهوريات تتفسخ .

والآن توشك الأرض أن تخسف به وهو واقف .

وجاءت اللحظة الحرجة .. اللحظة التى سوف تدفع روسيا فيها ثمن أكاذيب سبعين سنة نشرتها وروجتها فى العالم . شرقه وغربه وأعانت عليها بالسلاح والنار والدم .

وحل موعد دفع الثمن المؤجل لظلم وجبروت لينين وستالين .. كما يدفع العراق الآن ثمن استسلامه لجبروت صدام

والتاريخ لايعفى حاكما ولا محكوما .. وهو قد يؤجل الدفع .. ولكن إلى حين .. ولهذا سقطت امبراطوريات مثل الامبراطورية الرومانية .. والامبراطورية الفارسية .. والامبراطورية الأسبانية .. والامبراطورية البريطانية ، ودالت دولة النمسا ، ودولة قرطاجنة ، ودولة العرب حينما دب فيها الفساد يقول ربنا تبارك وتعالى :

﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون ﴾

لا بقاء لفساد ولا بقاء لباطل مهما اجتمعت لنصرته الجيوش واحتشد له العسكر وساندته الكتب

ولا أكثر من الكتب التى كتبت فى تمجيد ماركس والماركسية والشروح التى دبجتها أقلام (بعضها لأساتذة فى جامعاتنا) .. وأخرى لأساتذة فى جامعات الغرب رفعت هذه النظرية الى مرتبة النواميس التى لاتخطىء .

وقد جاء وقت فى بلادنا . كان من يتعرض لماركس بنقد يزج فى السجون ويلقى به وراء الشمس . وكانت كلمة « فلسفة مادية » يشطبها الرقيب ويشطب صاحبها إذا كان يتعرض لها بنقد .

وضربت الحماية على الباطل عشرين سنة لأن الحكام كان لهم مصلحة فى مناصرته .. ثم دالت دولتهم وانهزمت عصبتهم وتغيرت الدنيا .. وتغير الفكر من النقيض إلى النقيض .. وسكتت أقلام .. وظهرت اقلام .. واختفت وجوه . وظهرت وجوه ..

وأصبحنا نحن أيضا نعيش تلك اللحظة الحرجة التى تمر بها روسيا ويمر بها جورباتشوف ، ونعانى من نفس الظروف التى تتطلب الانتقال من الاقتصاد الشمولى الى الاقتصاد الحر ، ومن قوانين المادية الجدلية الى قوانين السوق ، ومن حكم الفرد إلى حكم الديمقراطية .

وما قال جورباتشوف أنه سوف يفعله فى خمسمائة يوم .. قلنا نفعله فى الألف يوم .. ولا مفر ولا مهرب .

ولأن روسيا كانت رأس البلاء ، ولأنها هى التى دفعت

بالعالم إلى هذا المنحدر ، فإنها سوف تدفع الثمن الأكبر .

أما نحن وصغار الاشتراكيات .. فظروفنا أحسن ، وإمكانات الإصلاح عندنا أفضل إذا توافرت لنا العقليات القيادية الخلاقة والسياسات المبدعة .

وفى مثل تلك التحولات الكبرى يفشل دكاترة الاقتصاد بحلولهم التقليدية ، وكتبهم العتيقة وتفشل مشوراتهم المحافظة ونصائحهم الخائفة المترددة .

وفى مثل تلك اللحظات الحرجة يتطلب الموقف عقولا مبدعة ، وسياسات ، غير تقليدية ومجازفات محسوبة .

أما الخوف فهو لا يجدى والحلول الوسطى تعطل ولا تنجز شيئا .

○ ○ ○

ولسنا مثل الاتحاد السوفيتي الذى يتألف من خمس عشرة جمهورية تتفكك الآن وتنهار على رأس الجالس فى الكرملين .. ولسنا مثل روسيا التى يختنق اقتصادها فى قبضة الشمولية الحديدية سبعين عاما .. فقد أعفانا أنور السادات بذكائه اللماح ووفر علينا نصف الطريق فكسر هذا النطاق الشمولى وحرر القطاع الخاص ، وسبق جورباتشوف بالانفتاح منذ السبعينات ..

وليس على النظام الموجود إلا أن يمضى قدما فى هذه السياسة الجريئة بلا خوف وبلا تردد نصف الطريق الباقى .

وبلادنا غنية بالموارد ..

فى شبه جزيرة سيناء النحاس والمنجنيز والكوبالت

والسليكون والزمرد والعقيق والكوارتز ، وشواطىء سينا ثروة سياحية ورمالها النقية تصلح لصناعة أغلى أنواع الكرستال .

والبحر الأحمر والمتوسط والبحيرات ثروة سمكية وكنوز سياحية .

والنيل والوديان والمياه الجوفية ثروة زراعية .

وفى أراضى الصعيد الحديد واليورانيوم .

وفى أسوان والأقصر والجيزة نصف آثار العالم . .

والعقل المصرى مبدع خلاق بطبيعته .. والعامل المصرى صبور حمول .. والجندى المصرى هو من خير أجناد العالم .. وهذا قول أصدق البشر محمد عليه الصلاة والسلام .

ومثل بلادنا لاتفلس إلا بنظام مفلس ، ولا تتخلف إلا بقيادات متخلفة .. لأن الغنى طبيعتها والثراء قدرها .

ومع ذلك ننظر فى رعب إلى ما يجرى فى روسيا ونظن أنه سوف يجرى علينا إذا نحن أسرعنا الخطى إلى الإصلاح ، مع أننا سبقنا روسيا بعشرين عاما فى تلك الإصلاحات .. ولا وجه للمقارنة .

ويعلن وزير التربية والتعليم (السابق) أنه لا مساس بالمجانية الشاملة ، وهو يعلم أنها فساد شامل ، وأنها لا هى بالمجانية ولا هى بالتعليم .. وأنها استنزاف للميزانية بلا مقابل .. وأنها لم تأت بقرار من حكومته .. بل من حكومة تسكن الآن المقابر وما زالت تحكمنا من هناك ..

ويخاف سيادة الوزير إذا أسقط المجانية أن تحدث

ثورة .. مع أن العكس هو الصحيح وتدفق الألوف من خريجى الجامعات الفاشلة الى سوق البطالة والتسكع والمخدرات والتطرف هوالذى يمكن أن يلد الثورة ..

وإسقاط المجانية عن الطالب الراسب هو أضعف الإيمان .. لأنها تعني العدالة التى لا تسوى بين راسب وناجح ، وبين عامل وفاشل .. وهى مساواة .. ان استمرت سيكون معناها تكريس الفساد .. ولماذا يحاول أى طالب أن ينجح بعد ذلك مادام يأكل من تكية المجانية الأزلية بلا حساب .. ولا نعرف ماذا سيقول وزير التعليم الجديد .

والخمسون فى المائة (عمال وفلاحين) هو قرار آخر صادر من حكومة المقابر .

وغيرها وغيرها .

ولا أقل من أن نطالب أن يحكمنا أحياء يباشرون صلاحياتهم ولا يتنازلون عنها بمجرد الدخول فى التشكيل الوزارى .. وزراء لا يخافون إلا الله وحده .

ان التغيير لابد قادم بهم أو بدونهم .. لأن الاحتمال الآخر - إذا لم يحدث التغيير - هو التدمير .. تدمير الاقتصاد .. وبالتالى تدمير كل امكانيات الإصلاح .

○ ○ ○

وسياسة الترقيع .. وسياسة القروض .. وسياسة تأجيل المواجهة والقاء المشاكل على الخليفة الذى سيأتى فى الحكم .. كل رئيس وزراء يلقى مشاكله على رئيس الوزراء الذى يأتى بعده ويشترى دماغه .. معناها حكومة اختارت ألا تحكم .. اختارت أن تكون ديوان موظفين .. كل

موظف يزيح الدوسيه الى الموظف الآخر ليريح دماغه ويتجنب المسئولية .. والنتيجة .. هى .. محلك سر .. أو التقدم الى الخلف .. أو سياسة التصريحات والمانشتات .. ثم لا عمل جاد يرفع المعاناة عن الناس ..

ان الامتحان صعب .. وفى حاجة إلى عقليات خلاقة وسياسات مرنة وحلول غير تقليدية .. ومجلس الوزراء لايصح أن يكون ديوان موظفين يرفع الأصابع بالموافقة على كل اقتراح .. أو وزراء تشريفه معظم نشاطهم فى المطار ..

فى لقاءات متكررة مع زوار أجانب وسياح .. قال لى أكثر من سائح من جنسيات مختلفة . أن حلم حياته أن يبيت ليلة فى تابوت خوفو داخل الهرم الأكبر وأنه مستعد أن يدفع كل ما يملك فى سبيل تلك الليلة ولكن للأسف مصلحة السياحة لا تسمح .. وكنت أستمع اليه فى دهشة وهو يصف تلك الليلة بأنها أشبه برحلة فى سفينة فضاء .. رحلة فى الفضاء التاريخى .. وعناق للأسرار المبهمة . وكلام كتير شاعرى غير مفهوم .

وفى العالم مجانين بهذا التابوت وبأسراره .. ومجانين بالهرم وألغازه .. ومجانين بأخناتون وأبى الهول ..

ولو كنت وزير سياحة لوجدت الف وسيلة ووسيلة أبيع بها الأحلام لهذا العالم الظمآن اليها ..

وكل المطلوب هو ان نخرج من ثوب البيروقراطية

ونفكر بحرية أكثر ، وبمرونة أكثر ، وبأسلوب غير تقليدى .

انهم فى أمريكا يحجزون تذاكر من الآن لرحلات فضائية قادمة بعد سنوات إلى القمر .. وهم يعرفون كيف يبيعون الأحلام للزبون المناسب .

وبلادنا أغنى بلاد الدنيا فى أحلامها وكنوزها وأساطيرها .

ولكن مطلوب تفكير غير تقليدى .. ومطلوب عقليات خلاقة .. وسياسات مرنة ».

هل نحن أكثر شيوعية من الصين التى ألغت المجانية من جامعاتها وأصبحت كل جامعاتها بمصروفات وكل مستشفياتها بأجر والصين أفقر بلاد الله .. لماذا نتمسك بالخطأ .. لماذا نخاف الإصلاح .. لماذا نعطى الحق للجامعة الأمريكية لأن تأخذ خمسة آلاف دولار مصاريف من الطالب المصرى ليلتحق بها (أى حوالى عشرين ألف جنيه مصرى) ولا نعطى لجامعاتنا - التى تتسول - عشر معشار هذا الحق ؟! وكيف سنرتقى بالتعليم ، وكيف نطور المعامل ، وكيف ننهض بالمختبرات وميزانية الجامعة تحت مستوى الفقر ؟!

والحلول المطروحة هى كالعادة الحلول التقليدية .. طلب التبرعات من أجل الخير .. وتسول القروض والمعونات .. وكالعادة تذهب كل تلك الأموال فى بالوعة بلا قرار اسمها وزارة اللاتربية واللاتعليم وتتخرج أجيال هزيلة تحتل المقاهى ونواصى الشوارع ..

ان التعليم هو عصب المستقبل .. ولن نستطيع أن نقتحم المستقبل بدون علم وبجامعات هذا حالها ..

والمستشارون المحترمون الذين ينصحون دائما بأن مجانية التعليم هى أكبر المكاسب الاشتراكية التى لايجوز المساس بها .. يعلمون تمام العلم انها أحد أكبر خسائر الاشتراكية التى يجب الإطاحة بها .. ولكنه الخوف .. وعبادة الاصنام التى عبدها الآباء .. وعقلية الموظف المصرى الجالس القرفصاء .. وغريزة تجنب المواجهة والقاء المشاكل لمن يأتى بعدنا .. وإيثار الأمان بعدم تغيير أى شىء وعدم المساس بأى شىء .. وهى عقليات لاتصلح لأن تقود .. لأنها لا تملك الشجاعة على اتخاذ القرار .

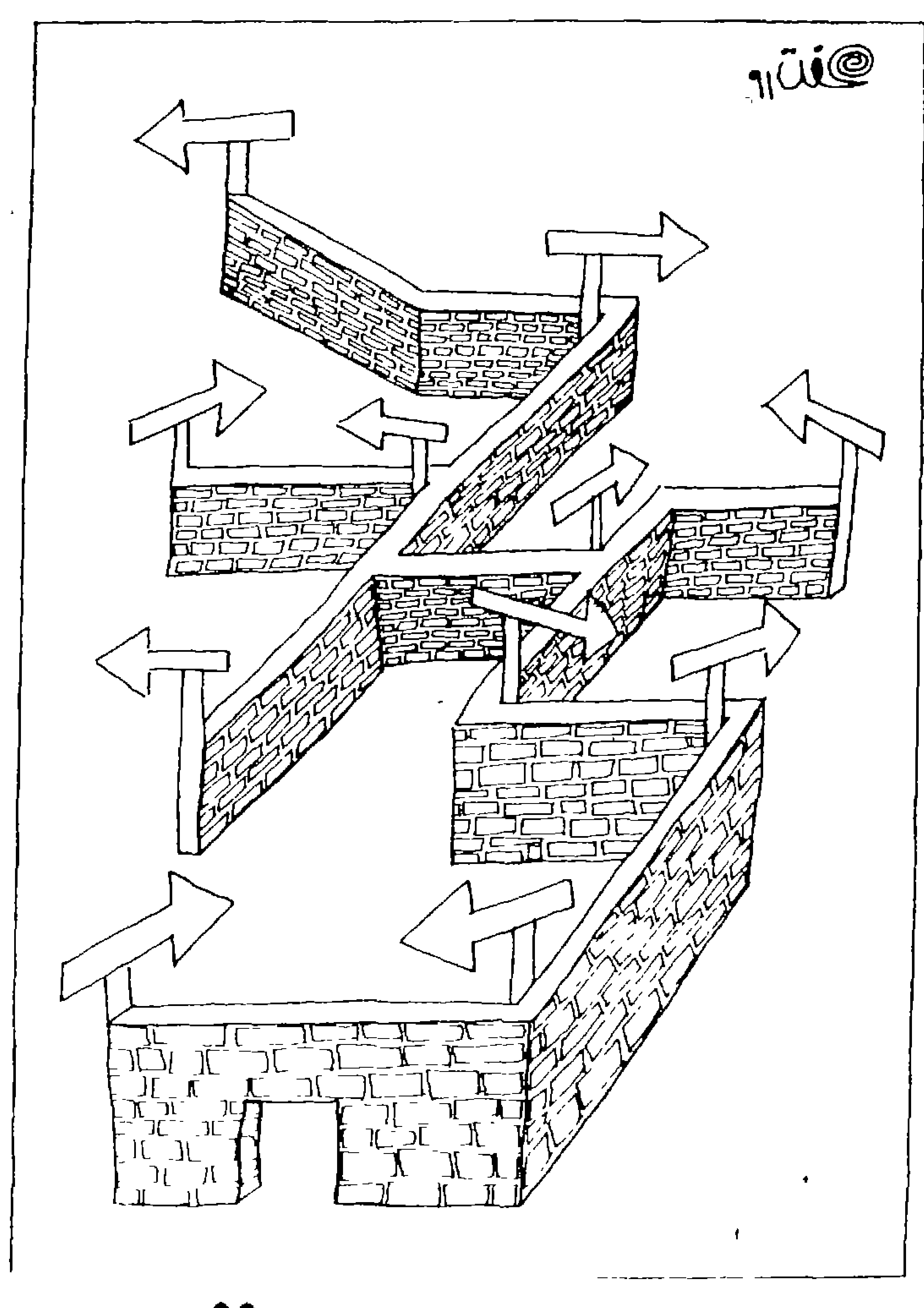
ولا مكان لتلك العقليات فى لحظات التحدى التاريخى وفى ساعات تغيير المسار وفى المنعطفات السياسية التى يلزم فيها اتخاذ مواقف جديدة . والامتحان صعب ووقت الإجابة محدود والزمن يمضى بسرعة .

وباق من الزمن التاريخى ساعة على دق الجرس وجمع الأوراق .

ولن تنفع الأجوبة التقليدية

ولن تجدى سياسة القروض والاستمرار فى التسول ولن تنفع عقليات ديوان الموظفين فى حل مشاكل مصر .

• • •



حكـايـة الحمـار .. !!

الشارع العربى تحـول إلى أزقة
ومنعطفات وفقد وحدة الاتجاه .
وأتصور أن الشعب العراقى فى بغداد
يعيش بوجه مكسور من الذل وهو لايجد
اللقمة ولا الماء ولا الوقود ولا الكهرباء
ولا الأمن .. يتجه بكل كراهينه إلى صدام
وحزبه وحكومته ، ويتحول بكل حقده على أمريكا وعلى
العرب وعلى كل من تحالف معهم ليذيقه هذا الهوان ..
والجـوع لا يعرف المنطق ولا التحليـل السيـاسى
ولا البحث الفلسفى فى الأسباب والمبررات ، وانما هو
يتحول الى ثورة وغل وانتقام من كل من أذاقوه تلك
الكأس ..
ولا أعرف متى يهدأ ذلك الانتقام ويتحول الى تعقل
وحكمة وتفهم لما حدث وكيف حدث ..
ومتى يهدأ ويلتمس الأعذار لما فعل الأخ بأخيه . . .
ومتى يدرك ذلك الشعب المطحون أنه مشترك فى
المسئولية ، وأنه قد أسهم فى الجريمة حينما أسلم قيادة
لظلم صدام وإلى ظلمات حزب البعث وفجوره ..
وعلى الجانب الآخر .. حيث الأخوة الأعداء فى حكومة
اليمن والاردن والسودان ومنظمة التحرير الفلسطينية
لا أرى حلا سوى أن تخرج تلك الوجوه التى شاهت
وساندت الدجال ووقفت مع الظالم .. وفى بلاد الحرية
والديمقرطية تسقط الانتخابات أمثال تلك الزعامات
وتخرجها من الحكم ..

أما فى بلادنا فإن الحكام لا يخرجون إلا بالموت أو القتل أو الانقلاب .

وهى كقيادات فقدت صلاحياتها ومصداقيتها .. والصراعات العربية ستظل باقية ما بقيت تلك الوجوه وربما أظهرت المسالمة وأبطنت اللؤم ، وربما صافحت بيد وطعنت بالأخرى .. فهى أسماء لاخير فيها ولا اجتماع على رأى وهى موجودة ..

وإذا استمرت تلك القيادات فلن نشهد فى الجامعة العربية إلا تمثيلية مملة ورواية عبثية بلا نهاية .

وعلى الجانب الأمريكى فإن الشعور بالزعامة ونشوة النصر تتحول الآن إلى إحباط . والستار يرتفع تدريجيا عن حقائق الحرب ومقدار الخراب وعدد القتلى وكمية الخسائر التى سببتها القوى العسكرية العملاقة بشعوب المنطقة .. ثم ما جرى على الأكراد بعد العرب والألوف منهم يسقطون من الجوع والاعياء كل يوم .. وما زال صدام طليقا .. ومازال يفسد ويتآمر ويقتل ..

ولا شك أن الإحساس بالذنب يؤرق بوش .. فنراه يدفع بالعالم ويحشد المشاعر لنجدة المشردين الأكراد .. ويبعث بالطائرات الأمريكية لتسقط عليهم الطعام والخيام والأدوية .. ولم يعد خافيا ما كسبه الاقتصاد الأمريكى والاقتصاد البريطانى والاقتصاد الفرنسى من هذه المجزرة .. فالدولار يرتفع والبترول ينخفض ، ومصانع السلاح تعمل بكل طاقاتها ومشاكل البطالة تتقلص .. والغرب الآن له شبه قاعدة دائمة فى قلب المنطقة النفطية ..

والمأزق الباقى الذى يسبب الصداع لبوش هو اسرائيل .

ان اسرائيل ترفض علنا القرار ٢٤٢ للأمم المتحدة برد الأرض في مقابل السلام ، كما ترفض المؤتمر الدولى ، كما ترفض إيقاف بناء المستوطنات وهى ماضية فى سياسيتها لاتعبأ بأحد .

انها ترفض ما كان يرفضه صدام منذ أسابيع ، وتتحدى قرارات الأمم المتحدة كماكان يتحداها .. مع فارق كبير .. هو آن رد أمريكا ورد بريطانيا ورد فرنسا ورد المجتمع الغربى على الصلف الإسرائيلى يجىء هذه المرة فاترا .. هادئ . ورزينا .. ودودا ..

والعالم الآن يشهد ويرى .. ان الحرب التى لبست ثوب العدالة والمبادىء .. لم تكن سوى حرب مصالح كالعادة .. وحينما جاءت ساعة المبادىء .. سكت مُدّعو المبادىء وفترت أصواتهم .

هل نقول أنها الفضيحة الأمريكية .

ولكنها ليست أول فضيحة . لا لأمريكا ولا للغرب . وبالأمس كان الاستعمار ينهب ثروات الشرق الأوسط . ويخطف الأفارقة ليبيعهم فى آسواق العبيد .. وكان الظلم فاضحا جهير النبرة .

وحينما دخل الاستعمار الى المنطقة العربية قسمها إلى دول ودويلات وكانتونات ووضع بينها الحدود الوهمية التى أشعلت الحروب وفجرت الخلافات .

واليوم يستأنف الظلم مشواره ولكن بنبرة هامسة وبأساليب مستترة وطرق ماكرة . اليوم هو غزو فكرى وغزو اقتصادى ، فإذا تحركت الجيوش فهى تتحرك تحت مظلة محكمة من المبادىء والانسانيات ..

واليوم الاستعمار له وكيل هو اسرائيل .. وله أذرع خفية بقدر عدد العملاء فى كل بلد

○ ○ ○

حتى سويسرا البلد الأوروبى المحايد الذى لايرفع سلاحا على أحد .. نراه يفتح بنوكه للأموال المنهوبة والمليارات المسروقة من الشعوب العربية والإفريقية والآسيوية والتى كان يحولها أمثال ماركوس ودوفاليه وصدلم وبوكاسا وحسين إرشاد وسياد برى وتشاوتشيسكو ومانجستو لتستقر فى حسابات سرية لا يدرى بها أحد .. وعادة لا يطول الانتظار . فما تلبث تلك الزعامات أن تسقط أو تقتل أو تغتال أو تنقلب عليها شعوبها .. وما تلبث أن تختفى المليارات المسروقة فى السراديب السويسرية فلا يعثر عليها أحد وتبتلعها المافيا الجديدة .. مافيا الدولار .

مسكينة شعوب أفريقيا .. وشعوب الشرق الأوسط .

ولكن لأخواننا الأوروبيين منطق آخر . فما يحدث هو فى تصورهم أمر طبيعى جدا ومنطقى جدا . أمر طبيعى جدا إذا رأى أحد حمارا سائبا فى الطريق أن يركبه .. أى غرابة فى هذا ؟؟!!!

صحيح .. أى غرابة فى هذا .

انما الغرابة أن تكون حمارا فى عالم ذكى متعلم متقدم .. وفي القرن العشرين الذى صعد فيه الإنسان الى الكواكب ومشى على القمر ..

أن تكون حمارا فى هذا الزمان .. وأن تكون سائمة ترعى .. وأن تسلم ذقنك وقفاك لكل وافد ..

هذا هو الأمر الغريب .

ولكن ياسادة .. هذا هو ما يحدث بالضبط.

ولابد لنا أن نعترف بالحقيقة مهما كانت مخجلة .. فنحن فى غاية التخلف .. والذين يستغلوننا غير ملومين .. فأموالنا وثرواتنا تركة سائبة .. والأعداء فى داخلنا أكثر قسوة علينا من المتربصين بنا فى خارجنا .

ولا أريد أن أمضى كثيرا فى سيرة الأعداء والعدوان .. فالقانون وألسنة التاريخية تقول انه لايوجد عدو طول الوقت ولا صديق طول الوقت .. وما يحدث فى العادة .. هو تبادل الأدوار مع مرور الزمن .. فمن كان عدوك يمكنك بالذكاء أن تجعله صديقك ، ومن كان صديقا لك يمكن أن ينقلب بغبائك إلى عدو لدود لك .

وهذا هو مفتاح الموقف الآن ..

كيف نقود الحوادث لنجعل من الأعداء أصدقاء ، ومن الخصوم أعوانا ..

ولن يحدث هذا إلا باستبعاد رؤوس الاجرام أولا .. ثم الجلوس معا لنتحدث بلغة المصالح والتجارة والمنافع ..

والسلام دائما منافعه أكبر والتعاون خيراته أوفر .

وهذا سوف يحتاج إلى سياسة مرنة وعقول متفتحة وقلوب تتقن فن النسيان والتسامح .

وقد يسأل سائل ولماذا لا نتسامح مع رؤوس الاجرام ولماذا لانكسبهم هم أيضا . ؟ !

والإجابة أنهم فقدوا رصيدهم ، وأننا لن نكسب بالتعاون معهم شيئا ذا بال .. فقد انتهوا بالفعل وأصبحوا أصفارا .. وأصبحت تركة الآثام والأكاذيب التى يحملونها أثقالا معوقة لاتسمح لهم بحرية المناورة .

ولكن كيف نستبعدهم بدون انقلابات وبدون دم ؟.

أقول تستبعدهم شعوبهم بالأسلوب الديمقراطى وهذا يقودنا إلى الحل الحقيقى .. والوحيد .. أن يكون للشعوب رأى مسموع فى حكامها .. وأن تكون هناك انتخابات وأن تكون هناك ديمقراطية .. وأن يكون للفرد العربى صوت وكرامة وحقوق .

ورغم أن هذا كلام داخلى جدا .. إلا أنه لا يوجد حل ممكن لمشاكلنا الخارجية ولعلاقاتنا العربية بدونه .. بل أن الكلمة العربية لن تتوحد بدونه .. والموقف العربى لن ينشأ بدونه .. ولن يولد مواطن عربى له كرامة بدونه ..

وأن يكون لأمريكا ضغط للاسراع بهذا التطور .. هو سياسة تحمد لها .. وقوة دفع مشكورة تذكر لها بين ايجابيتها وسلبيتها .

وكما قلت : ان الخصوم ليسوا أعداء فى كل شىء ، كما أن الأعوان ليسوا أصدقاء فى كل شىء ، ولم يعد من الممكن بناء المستقبل على أساس العداوة المستمرة بين الشرق والغرب .

وكما قلت فإن ما يفعله المستغلون ليس دائما جناية قانونية ما دام الآخرون مغفلين .. والقانون لايحمى المغفلين .. وسوف يغفر لهم اننا كنا دائما مغفلين .

واننا فعلنا بأنفسنا أكثر مما فعلوا بنا ، وقد فعل صدام العراقى بالشعب العراقى ما لم يفعله بختنصر باليهود .

وهذه النظرة إلى النفس لابد منها للانطلاق من جديد .

ولاشك أننا فى حاجة إلى علوم الغرب وصناعة الغرب وزراعة الغرب وفنون الغرب لنبنى ونعمر ونتقدم ونأخذ مقعدنا فى القطار السريع الذى يلهث نحو الغد .

واسترداد أراضينا من اسرائيل بالاتفاق أفضل من إراقة الدم فى حروب لايعلم أحد مداها ..

فلنمد أيدينا بقلب مفتوح وبعقلية متفتحة نحو جميع الخصوم . ولننس حكاية الحمار .

فلا لوم ـ كما قلت ـ على من يجد حمارا سائبا فى الطريق إن ركبه .

وهل كان العكس لو حدث (أن يركب الحمار على أكتاف الناس الأذكياء أولو الألباب والعقول) لو فعلها ذلك الحمار .. أما كان الأمر يبدو ظلما أفحش ..

نحن إذن أمام سنن إلهية تعمل .. هى فى النهاية سنن حكيمة وعادلة إذا نظرنا نظرة واسعة ومحيطة إلى اتساع التاريخ وشموله ..

وسوف يبدو لنا حينئذ أن ما كان يظهر أنه ظلم فى مرحلة . قد فعل فعله فى إيقاظ العقول والمشاعر ليثمر عدلا فى مرحلة تالية ..

وأن العصا الغليظة كانت أداة ربانية ناجحة لتأديب الكسالى أمثالنا وإيقاظهم . ولو أن الله ترك الكسول على كسله بلا عقاب لكان اهمالا لا يجوز فى حقه .. ولكان فى ذلك تشجيع لكل العاملين لأن يكسلوا ولكانت النتيجة توقفا للحركة فى الكون وتوقفا للعمار فى الدنيا .

هو ابتلاء وتربية ..

تربية لسلالات بشرية يصنعها الله على عينه ويربيها مرة بأغداق الثواب . ومرة أخرى بإنزال العذاب لحكمة يريدها فى النهاية .. هى إظهار الحق .

ونرجو الله أن نتعلم ونتعظ ونعتبر من دروس التاريخ ، وأن نتأدب بذلك الأدب الإلهى العالى لنتخطى فى مراحل التاريخ القادمة ذلك الموقف الذى رابطنا فيه طويلا (مربط الحمير) الذى رابطت فيه القارة الافريقية مع الفقر والمرض والأمية والبدائية قرونا طويلة ..

ولامدعاة لليأس .. فقد كانت لأوروبا رقدة طويلة فى العصور الوسطى المظلمة .. وكان الطاعون والكوليرا والتيفوس والحروب الطائفية تحصدهم . وكانوا يأخذون علمهم وتقدمهم عنا .. ويترجمون العربية الى لغاتهم ليتعلموا علومنا ..

وغرقت أمريكا قرونا فى حروب الشمال والجنوب وفى ظلام العنصرية قرونا أخرى .

واقتتلت الجارتان انجلترا وفرنسا فى حرب المائة عام .. ثم احترق الجميع فى أتون الحربين العالميتين الأولى والثانية .

ثم خرجوا من هذه المخاضة المظلمة الى أنوار عصر النهضة .

انه ليل التاريخ ونهاره يتداولان على الأمم والشعوب كما يتداولان على نصفى الكرة الأرضية ..

ويقول القرآن :

﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾

ويقول عن أقوام سبأ :

﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾

(تماما كما فعل بالعراق والخليج) .

هذه سنة الله فى تأديب خلقه بالثواب والعقاب فلا داعى لليأس ..

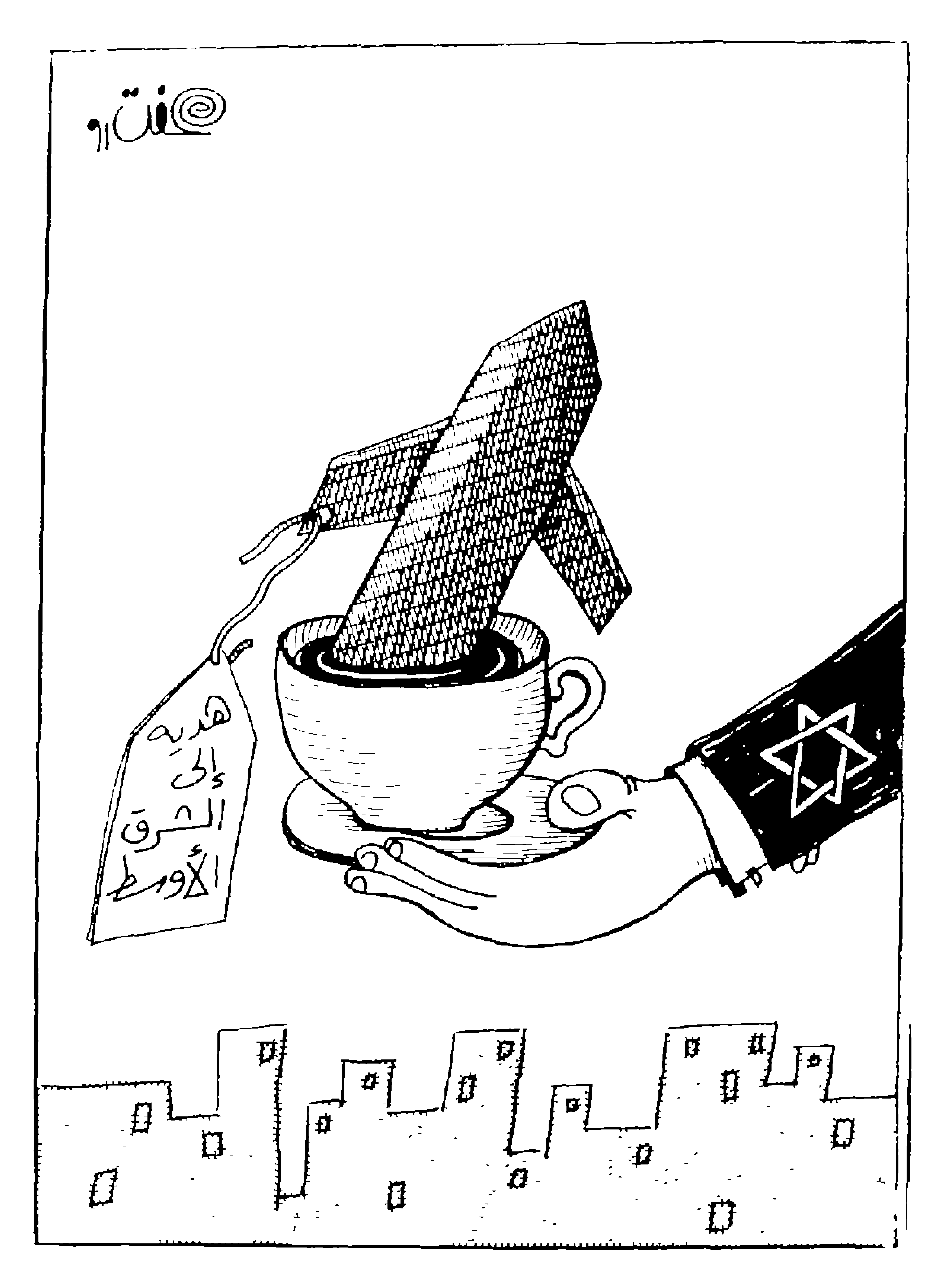
المهم أن نعى الدرس ونفهم ونعتبر ونتغير وأمامنا الزمن طويل .

○ ○ ○

وعمر الحياة على الأرض أربعة آلاف مليون سنة .. نصيب الإنسان منها بضعة ملايين قليلة (من مليون إلى عشرة ملايين سنة فى تقدير البعض) .. فهناك فرصة .. ويوشك نهار الحضارة أن يعود فيدركنا ، وما كان الله ليغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

فلنغير ما بأنفسنا لتعود فتشرق شمس الله من الشرق .. كما حدث أيام بابل ومنف وبغداد والأندلس .. أيام كان التاريخ يأخذ تعليماته منا ، وكان مربط الحمير في بلاد الخواجات .

● ● ●



اليهـود .. إلى أيـن .. ؟ !

لا أعرف لماذا يبكى اليهود أمام حائط المبكى ؟ !

فلسطين .. وأخذوها !!
والفلسطينيون .. وطردوهم ..
والقنابل الذرية .. وامتلكوها
والصواريخ .. وصنعوها ..

وشعوب العالم .. وخدعوها .

وأمريكا .. واستنزفوها ..

إن وعد بلفور هو الذى زرع هذا السرطان فى الشرق الأوسط ، وزرع معه المأساة والتشريد والحرب والدمار والصراع فى المنطقة ..

وبريطانيا التى ساندت الجريمة ..

وأمريكا التى مولت واظلت ورعت وربت ووضعت كل امكاناتها فى خدمة اسرائيل .. وفعلت ما هو اكثر .. ضحت بكرامتها وسمعتها كأمة تمثل الحرية والعدالة وحقوق الإنسان .. لتكون رهن إشارة ثلاثة ملايين اسرائيلى يدوسون على قيم العدالة والبراءة ، ويباشرون القهر والظلم والفساد كل يوم .. فإذا صرخ العالم واحتج .. قالت أمريكا .. فيتو .. وقذفت بها فى وجه اجماع هيئة الأمم المتحدة ..

وأمريكا التى يموت الملايين من شبابها بطاعون المخدرات .. تعلم ان مرتزقة اسرائيل تحمى بارونات المخدرات فى كولومبيا .. فتسكت .

وتعلم ان اسرائيل تقوم بتهريب التكنولوچيا الأمريكية وتسلمها الى جنوب أفريقيا .. فتكتفى بالعتاب .

إلى أى مدى يمكن أن تذهب جريمة أمريكا فى سبيل اسرائيل ..

وإلى أى مدى يمكن أن تضحى بمبادئها الأخلاقية وشعاراتها فى سبيل اسرائيل .

وأى خدمة تقدمها اسرائيل لأمريكا تساوى تلك التضحية .

انها لا تقدم لأمريكا خدمة ، بل وصمة .. فقد أصبحت الوجه القبيح لأمريكا أمام العالم

وهى لاتصنع لأمريكا قاعدة عسكرية فى الشرق الأوسط بل زلزالا .. وأمريكا تعلم ـ كما نعلم نحن ـ أن التاريخ لا يستمر على حال .. لا الضعفاء يستمرون ضعفاء ، ولا الأقوياء يستمرون أقوياء .. هكذا تعلمت وتعلمنا من قراءة أرشيف الماضى .

○ ○ ○

فأين الروم وأين الفرس وأين امبراطورية النمسا ؟ بل وأين الامبراطورية البريطانية التى كانت لاتغيب عنها الشمس ؟.

ان المخدرات تأكل أمريكا من الداخل ، واليابان الفتية تأكل أسواقها الاقتصادية من الخارج ، والمانيا الناشطة نحو الوحدة سوف تزحف على أوروبا بالمارك الألمانى والصناعة الألمانية .. وسوف يتراجع الدولار إلى ما وراء

الاطلنطى ويخرج من المحيط الهادى . وسوف تتغير موازين كثيرة فى المستقبل .

ولن تظل الدول العربية منقسمة على نفسها إلى الأبد . وبعد سنوات سوف يصبح العرب أغلبية داخل اسرائيل ذاتها بدون حرب بمجرد ازدياد معدلات التناسل العربى على التناسل الاسرائيلى .

ولن تنفع اسرائيل قنابلها الذرية ..

لأن أى قنبلة تلقيها اسرائيل فى فنجان الشرق الأوسط سوف ترتد عليها قبل غيرها بالاشعاع الذرى والغبار الذرى والوبال الذرى .. ولن يقف العالم ساكتا على التلوث الذى ستلقيه اسرائيل فى وجهه . ولن تنفع اسرائيل صواريخها بعيدة المدى ..

فكل الدول العربية سوف تملكها وبعدد أكبر .

واجتماع كلمة العرب وحدها .. ستكون سلاحا أمضى من جميع الأسلحة .

وهذه ليست نبوءة . بل حقيقة .. لأن استمرار عدوان الأقلية الاسرائيلية وسط بحر من الأغلبية العربية استحالة تاريخية ..

○ ○ ○

وستظل اسرائيل جسما غريبا مصيره الحتمى أن ينكمش ويحاصر ويتحوصل ويذوى وينتهى أمره .. وفى لحظة الأزمة وحين دقت طبول الحرب لم تكن اسرائيل هى العامل الذى كسب لأمريكا الحرب .. بل العرب .. ولم

تساهم اسرائيل إلا بسكوتها .. إن العرب رغم ضعفهم وتفرقهم مازالوا هم القوة الحاسمة فى المنطقة .

وأى تصور غير ذلك أحلام وأوهام .

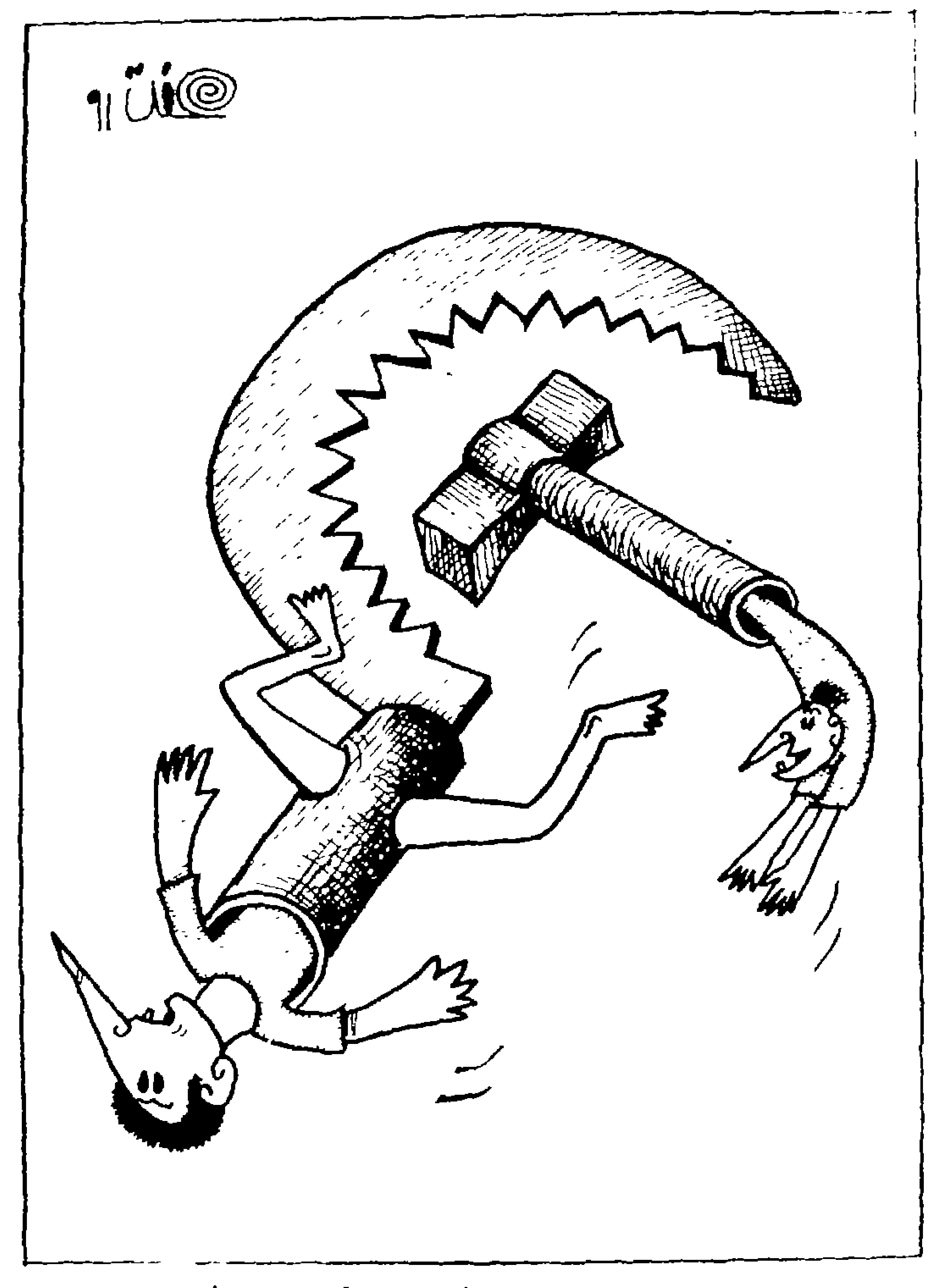
والزمان أمامنا طويل ..

والإسلام من ورائنا . قد هزم التتار وأخرج الصيلبيين .

فأى غرابة أن يُخرج خلفاءهم .

ولا إله إلا الله .. محمد رسول الله ..

● ● ●



محراث التاريخ ..

مازال يعمل

الزلزال مستمر .
ومحراث التاريخ مازال يقلب
الأرض ويجعل عاليها سافلها .
تمزيق صور لينين وإزالة
تماثيله .. وإزالة صور كارل
ماركس من الجدران .. هزيمة
الشيوعيين فى انتخابات موسكو وليننجراد وكييف ..
عودة الملكية والأحزاب إلى روسيا .. شطب كلمة
الاشتراكية من دستور تشيكوسلوفاكيا ومن جمهورية
روسيا الاتحادية .

انفراط حبات المسبحة الشيوعية .. وتخلى الأحزاب
الشيوعية عن السلطة فى بولنده والمجر ورومانيا
وبلغاريا وألمانيا الشرقية وتشكوسلوفاكيا ونيكاراجوا
وأخيرا منغوليا والبانيا واثيوبيا .

جراسيموف يقول : أن جورباتشوف أصابه الفزع لقرار
الانفصال الذى أعلنه برلمان لتوانيا .. لقد فكر فيما
ستفعله غدا لاتفيا واستونيا وملدافيا ثم جورجيا
وأوكرانيا وأزرباجان وأزباكستان .. وطاجيكستان ..
وشعر بالأرض التى يقف عليها تميد من تحته ، وأحس
بالزلزال يصل إلى مواقع قدميه .

○ ○ ○

ان عملية الإزالة التى بدأها قد اشتملت على إزالته هو
وعلى إزالة الأرض التى يقف عليها هو أيضا ..

ولم يكن غريبا أن يطلب مزيدا من السلطات ليستطيع التعامل مع المردة الجدد الذين خرجوا من القماقم .. وكان أول ما فعل ان أرسل إنذارا إلى لتوانيا بالرجوع عن طلب الانفصال .

عالم قديم ينهدم . وعالم جديد يولد بدون حرب وبدون أن تطلق رصاصة وبدون أن تسيل قطرة دم .

مذاهب مسلحة حتى الأسنان تختفى كالسراب . وطواغيت يذوبون كتماثيل الشمع . وجبابرة يتبخرون كالدخان .. وشعارات يمحوها نور النهار كما يمحو الظلمة .

○ ○ ○

ترى ما رأى المثقفين والرواد الذين كرسوا حياتهم وأقلامهم للدعوة وللترويج لهذه الاشتراكيات ؟ ! وما شعورهم الآن وقد سقطت معبوداتهم وأصنامهم كما تسقط أوراق الخريف .

وأين هم .. ؟ !

ولماذا سكتوا فجأة .. ولماذا أصابهم الخرس ؟ !

ونحن .. إلى متى نسير خلف سراب انتهى ؟ ! وإلى متى نترك بلادنا غارقة فى المستنقع الاشتراكى الذى ساقها عبد الناصر إليه ومرغها فى أوحاله ، وفى الخمسين فى المائة عمال وفلاحين وخراب القطاع العام ومجانية اللا تعليم واللا تربية ، والظلم الواقع على الملاك من المستأجرين ، والغبن الواقع على أصحاب الأرض من الفلاحين .

متى نبدأ فى إزاله الاساس الفاسد لنبنى على أساس سليم ؟.

وهل نستطيع .. ؟

وهل سيستطيع جورباتشوف أن يخرج روسيا من أوحال الماركسية ومن المؤامرة اليهودية الكبرى التى خنقت الشعب الروسى وهبطت به الى الحضيض ..

لقد أخرجها بالكلام ..

وبقى أن يخرجها بالفعل .

بقى أن يملأ الرفوف الخالية فى المتاجر السوفيتية بالبضائع والمنتجات والأطعمة بدون أن يلجأ إلى الديون والمعونات والقروض .. ولن يكون هذا أمرا سهلا .

ان الاشتراكية لم تدخل بلدا إلا دخلت معها القذارة والكسل والسلبية واللامبالاة والتواكل واخلاقيات الحقد والنفاق وتملق الرؤساء . وكانت نتيجتها دائما هبوط الانتاج والخراب والانهيار الاقتصادى ..

وكان هذا يحدث تحت لافتات براقة كاذبة عن الرخاء والوفرة والعدالة .. ومقالات صحفية تمجد الحكام .. وبرامج تليفزيونية تشيد بالانجازات .. ومسيرات شبابية تهتف .. ومواكب تطبل .. وفنون مأجورة تزمر .. بينما الرأى الآخر يُمنع ، والألسن التى تقوله تقطع ، والأقلام التى تكتبه تقصف !!

ولهذا كانت الصورة الظاهرة دائما بهيجة وردية .. والحقيقة الخافية تعسة دموية .

كانت الاشتراكية عملية مرادفة لتدمير البنية الأخلاقية للأمم ، ولم تكن مجرد تغيير للعلاقات الاقتصادية .

والذى حدث مع قرارات الاشتراكية فى مصر فى الستينات أنها كانت إيذانا بتدمير الشخصية المصرية وتدمير لهيكل العلاقات الاجتماعية فى مصر ولم تكن مجرد تغيير اقتصادى والذى حدث فى روسيا على مدى سبعين عاما كان أبشع من ذلك بكثير ..

ولهذا لن تخرج روسيا من أوحال الاشتراكية بسهولة لأنه لن يكون مجرد خروج من شكل اقتصادى ، بل خروج من أخلاقية هابطة ودمار معنوى وتلف أصاب النفوس والأرواح .

○ ○ ○

وأمراض الأجساد يمكن أن تشفى بسرعة .. أما خراب النفوس ودمار الأرواح فإنه قد يستغرق أجيالا ليشفى .

ولن تسعف جورباتشوف السلطات الكثيرة التى استطاع أن يجمعها فى يده ، لأن القوة لا تستطيع أن تصنع فضيلة .. إنها تستطيع ان تدمر بأسهل بكثير من أن تبنى .

وبناء الإنسان أصعب بكثير من هدمه .

وما تبقى من فصول فى هذه الحلقات التاريخية التى نراها أمامنا اليوم على مسرح العالم لن تكون أقل إثارة مما مضى منها .

● ● ●



الأيــدى الخفيــة .. !

ما أكثر ما ضاعت
البراءة فى هذا العصر !!
ضاعت البراءة حتى من
وجوه الأطفال .. وأصبحنا نرى
النظرات المتآمرة حتى فى
وجوه أولادنا .

دول عظمى يحكمها حكامها بنفس عقلية بارونات المخدرات .

السينما التى يفترض أن تقدم لنا ألوانا من الواقع .. أصبحت لا تقدم إلا العنف والجنس والدم والرعب .. وأصبحت بذلك تقدم واقعا مكذوبا ، وبالتالى تصبغ عقول المشاهدين بهذه الصبغة الكاذبة .

المادة فى الروايات هدف ، والحب وسيلة .. والثراء هدف ، والدين وسيلة .. والحكم هدف ، والمبادىء وسيلة .. والعرى هدف ، والموضات وسيلة .. والانحلال هدف ، والحرية وسيلة ..

○ ○ ○

وفى أمريكا وأوروبا وانجلترا كان الشذوذ الجنسى وتقنين الزنا هدفا ، والأسلوب الديمقراطى والأغلبية البرلمانية وسيلة (بتمريره تلك القوانين فى البرلمان)

وفى الحروب الأخيرة كان الدمار الشامل هدفا ، والعلم والتكنولوچيا وسيلة .

هل هى بداية انهيار مخطط للقيم .

وهل وراء هذه الظواهر أيد خفية تعمل فى تضامن من وراء الكواليس السياسية ، ومن خلف مسرح المجتمع ، ومن داخل الصحافة والإعلام والسينما والمسرح ، ومن خلال منصات صنع القرار .

اننا نقرأ فى كتاب التلمود (وهو الكتاب الذى يضم التراث الدينى والشعبى لليهود) :

إن هذا الانحلال مقصود ومراد ومخطط له .. وأنه سوف يصنع بأيد عامدة متعمدة تمهيدا لمجئ دولة يهوذا .

ونقرأ أن نفس الأيدى الخفية كانت وراء إشعال الثورة الفرنسية والثورة البلشفية والحربين العالميتين الأولى والثانية ، وصعود أمثال أتاتورك على مسرح الأحداث فى تركيا ، وإمداد أمثال صدام حسين بالسلاح والنفخ فيه حتى انفجر فى حرب الخليج ..

وأن الأخطبوط الصهيونى المنتشر داخل أجهزة صنع القرار ، وداخل أجهزة الإعلام . وداخل مصانع السلاح ، وداخل أجهزة التخابر والتجسس ، وداخل البنوك وصناديق المال .. له آلاف الأيدى التى تعمل عامدة متعمدة على إحداث هذا التدهور .

○ ○ ○

ولا أحب أن أبالغ لدرجة تبرئة جميع الأجناس واتهام اليهود وحدهم .. وأعتقد أنه رغم أن دور اليهود تاريخيا كان له أكبر نصيب فى إحداث هذا التخريب .. إلا أن الكل

مسئول . والكل مدان . وأن الذين نذروا أنفسهم لهذه الرسالة الهدامة ليسوا كلهم يهوداً . وإنما هناك مساهمون جدد وشياطين جدد من كل الأجناس جندوا أنفسهم لهذه العصبة الإجرامية التى تجر العالم كله الآن إلى الخراب ..

وهناك كثرة من المتطوعين استهوتهم اللعبة فدخلوا فيها لمجرد حب المغامرة وهواية الشر .. والبعض يعلم تماما ما يفعل . والبعض موعود بالمناصب .. والبعض موعود بالملايين .. والبعض يعمل لحسابه .. والبعض يفتح مكاتب إجرامية حرة . والبعض مجرم لا منتم .

ولكن المؤكد أن هناك موجة من الإجرام المخطط والعنف والانحلال تكتسح العالم ، وأكثر ضحاياها من العالم الثالث الفقير المهزوم

ونظرة عابرة على أبار الكويت المشتعلة ، وطوابير الأكراد الهائمة ، ومواطنى الحبشة الذين يموتون من المجاعة ، وأطفال البانيا المشردين ، ومواطنى يوغوسلافيا الذين يقفون على حافة الحرب الأهلية ، وجمهوريات روسيا التى تتفكك مثل لعبة من البلاستيك ، والفلسطينيين الضائعين فى أرض الشتات ، وكوبا وأنجولا والساندنيستا وفقراء الأرچنتين والبرازيل والمكسيك وباقى دول أمريكا اللاتينية المتسولة والصين الحبلى بطوفان ..

تلك النظرة العابرة سوف تشى بمنحدر مظلم تتسارع اليه الحوادث .

والعالم الآن الذى أصبح آحادى القطب تقف على رأسه آمريكا تلوح بعضلاتها الحديدية .. هذا العملاق المنفرد بالسيطرة .. لا تثير قوته العسكرية اطمئناننا .. لأن القوة العسكرية وحدها لم تعد كافية لضمان استمرار الزعامة . وانما القوة الاقتصادية مطلوبة بنفس المقدار ، والبنية الاجتماعية الصحية ركن ثالث هام لاستمرار حياة الحضارات ..

والاقتصاد الأمريكى مهدد من جانب المارك الألمانى الصاعد والين اليابانى المكتسح .. والانفاق الأمريكى آصبح انفاقا كثيرا مترهلا مهددا بعجز الميزانية . كما آن البنية الاجتماعية الأمريكية تآكلها المخدرات والجريمة والعنف من الداخل .

○ ○ ○

والعملاق الكونى مهدد بالسقوط فجآة كما صعد فجآة .

وماذا بعد انهيار السيطرة الأمريكية .. إلا عالم يموج فى بعضه البعض .. ومستقبل مجهول الهوية مثل علامة استفهام كبيرة مريبة .

أين نحن من كل هذا الذى يجرى ؟!.

هل نستطيع الخروج من الهيكلية الاشتراكية والجاكتة الجبس التى أدخلنا فيها عبد الناصر منذ الستينات ؟!.

هل نستطيع تحرير اقتصادنا السجين فى زنزانة القطاع

العام لننطلق ونعمل وننتج ونلحق بالركب الذى يهرول ؟!.

هل نستطيع ان نتجاوز مشكلة الرغيف الى المشكلة الأكبر .. مشكلة التعليم .. والاسهام الحضارى ؟!.

لا أقل من قوانين جديدة ثورية وحلول غير تقليدية يمكن أن تخرج بنا من المآزق .. ليست القروض ولا القاء المشكلة على رئيس وزراء قادم ولا تأجيل المواجهة الى الغد ولا التصريحات الواعدة ..

والمشكلة كبيرة .. أكبر من كل الفتاوى .. وهى تحتاج إلى أخلاقيات جهاد وقيم عمل ..

وهذا يعيدنا ـ كما قلت ـ الى الأيدى الخفية التى تعمل على تفتيت الهمم وتهديم القيم ونشر الانحلال فى تيار عالمى يسرح طليقا ويخرب فى طريقه كل شىء ويعوق الاصلاح فى كل مكان ..

○ ○ ○

وليس كافيا أن يخرج علينا شيخ أصولى فى يده شمروخ ليقول :

الإسلام هو الحل .

فأى إسلام يريد ؟ ! إسلام التكفير والهجرة ، أو إسلام حزب الله الإيرانى ، أو إسلام عصابة الناجين من النار ، أو إسلام صدام ؟!. إنهم كلهم رفعوا راية الإسلام هو الحل .. فأى من اسلام هؤلاء يقصد ..

إن العبارة لا توضح المطلوب .

والإسلام نفسه يقول : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

إذن .. بنفسك فأبدأ .. وليس بحمل الشماريخ على غيرك .

وهذا هو المفتاح

وبنفسك فابدأ .. أخضعها أولا لشريعة الله قبل أن تخضع غيرك .. تخلق بالشجاعة والصدق والسماحة والعفو وحب العمل وحب الاتقان وحب الخير قبل أن تحاول بالعنف والاكراه أن تخلقها فى غيرك .

○ ○ ○

ان الإيمان وأخلاقيات الجهاد وقيم العمل بضاعة نفسية أولا .. تنشئتها تحتاج إلى ثورة داخلية تعلنها على نفسك ، وصراع وجودى باطنى يطهرك ويعلو بك على ماديتك .. وهى تربية ليست بنت يوم وليلة ، وليست حصاد خطب وهتافات .. وليست بنت الانقلابات العسكرية وعصابات العنف .

وهى الجهاد الأكبر .

وليس دون الجهاد الأكبر ما نستطيع به أن نصد هذا الطوفان .

فهل ظهر رجال هذا الجهاد .. أم أنهم سيولدون من مخاض العذاب القادم .. أم أن الله يصنعهم الآن على عينه من مخاض هذه السنوات العجاف ؟!.

ان الإصلاح لن يصنعه أبدا جبابرة .. بل ناس فضلاء بسطاء صادقون .

والله وحده هو مصلح الصالحين .. فكفوا عنا شماريخكم .. وليصلح كل منا من نفسه وليبك على خطيئته .. وليصارع شيطانه .. وليكبح شهواته .. وليطهر غايته ..

ولا يذهبن الغرور بأحد فيظن أنه يمكن أن يصلح العالم بضربة شمروخ فى يوم وليلة .. فتلك مراهقة سياسية .

○ ○ ○

وإذا ظن أحدكم أنه فاعل ذلك .. فليعد القراءة فهو غالبا واحد من العصابة التى تحدثت عنها .. عصابة الأيدى الخفية .. ونفسه الطامعة فى السلطة تخدعه دون أن يدرى ..

○ ○ ○

وهو يريد أن يقفز على أكتاف الكل باستخدام أجنحة الإيمان وشعاراته .. دون أن يملك أى شىء من جوهر ذلك الإيمان ونقائه .

انـنـا نسير على الشوك .

والأعداء من حولنا .. والأعداء فينا ..

وأحيانا تكون نفوسنا أشد عداوة لنا من الكل .

وقد تساعدنا فى مسيرتنا جلسة محاسبة مع نفوسنا كل ليلة قبل ان نغمض عيوننا لننام .. نراجع فيها ما قدمنا من خير .. ونزن بميزان دقيق محايد كل ما فعلناه فى يومنا .

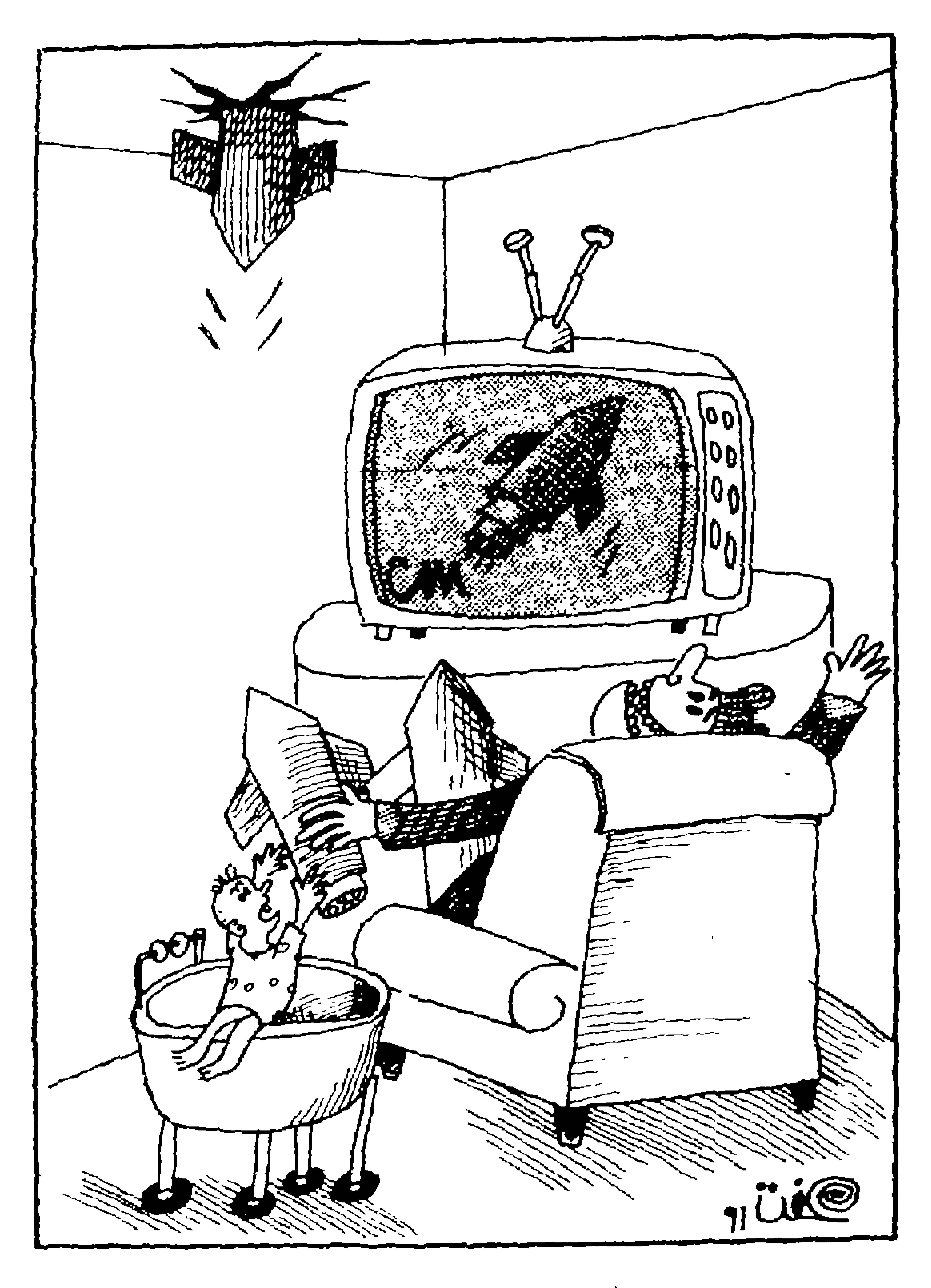
وفى الحديث الشريف ..

« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا »

ودنيا اليوم التى تنهار فيها القيم ويتهددها المغيرون من كل اتجاه .. فى حاجة إلى تلك الحراسة الساهرة ..

فما أكثر ما يكون المعتدى عليك هو آنت نفسك .. والأيدى الخفية هى يداك ذاتهما .. هى التى تعطل تقدمك وتعوق سَيْرَك .

● ● ●



عن الغــزو الفكــرى ..
والحرب الخفية وراء الكواليس

وقفت طويلا أمام حديث
اذاعى لوزير الثقافة فاروق
حسنى .. تسأله المذيعة .
ما رأيك ياسيادة الوزير فى
الغزو الفكرى ومخاطره ؟
فيجيب الوزير فى ثقة
لا مخاطر من أى لون من الغزو الفكرى .. ويا مرحبا بالغزو الفكرى فى كل وقت وفى كل مكان .. والتخوف من الغزو الفكرى والغزو الثقافى .. هو تخوف بلا أساس .

○ ○ ○

ولن أجيب مباشرة ولكنى سوف أُذَكِّر السيد الوزير بالنكبة الاقتصادية التى أصابت مصر ، وبعجز الميزانية التى يشكو منها هو نفسه ، ومن الإفلاس المادى لمؤسسات المسرح والسينما والكتاب .. وأقول له

هل كان الاقتصاد الشمولى والقطاع العام والتأميم وبقية أركان الايديولوچية الاشتراكية - التى هوت بمصر الى الحضيض - إلا غزوا فكريا ماركسيا قامت به عصابة ، من اليسار وتبناه نظام قمعى ، وقامت على نشره وفرضه أجهزة إعلام وأبواق دعاية محترفة وعشرات من الكتاب الذين وهبوا أقلامهم لفلسفة الكرملين وفكره ؟!

○ ○ ○

وأذكره بالدكتور لويس عوض حينما كان يجمعنا حوله فى الأهرام يعلمنا كيف نفكر ماركسيا ، وأذكره بشروحه ومقالاته فى الصراع الطبقى وفى المادية الجدلية وفى

الاشتراكية العلمية .. وكيف أنها أمل العالم فى التقدم والرخاء والعدالة .

وأذكر أنى سألت الدكتور لويس ذات مرة : ماذا سيبقى - فى رأيه - من الإنسان بعد موته ؟

فأجاب فى ثقة عجيبة : لا أكثر مما يبقى من حمار نافق يتعفن فى حفرة .

وسألته رأيه فى الكتب السماوية . فقال فى يقين : هى أشعار بعضها جيد وبعضها ردىء .

وكان كلامه استمرارا لدعوة سلامة موسى منذ خمسين سنة حينما أجاب عن نفس السؤال قائلا

« جميع الكتب المقدسة سواء عندى ، ويستوى معها عشرات المؤلفات الأخرى فى الفلسفة والأدب » !

انه تيار واحد من الغزو الفكرى ظل يعمل فى تغريب العقل المصرى وتشكيكه فى مقوماته وأديانه ومقدساته منذ أجيال .

○ ○ ○

ولا أجد تعليقا على هؤلاء المتقفين الأفاضل أفصح من كلمة نبيهم عيسى عليه السلام فى موعظة الجبل

ان كان النور الذى فيك ظلاما ..

فالظلام كم يكون ... ؟!!

وفى إنجيل متى ٧ : ١٦ :

هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا ؟

والحق انهم ما اجتنوا لنا إلا الشوك وما زرعوا فى عقولنا إلا الحسك .. وما كان نورهم الثقافى إلا ظلاما .. وما كانت تقدميتهم إلا تأخرا وهدما أتت به على اقتصادنا من القواعد .

○ ○ ○

وإذا كنت ياسيادة الوزير تعانى من غول البيروقراطية ومن فقر الامكانيات ومن الاقتصاد المكبل بالقيود والشعارات فهو من زرعهم .. ومن آثار غزوهم الفكرى الذى تنكر أثره .

○ ○ ○

وسوف أدع الموضوع لخبير آخر يدلى برأيه .. هو سيرج لاتوش الاستاذ بكلية الحقوق بجامعة ليل بفرنسا والاستاذ بمعهد دراسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بباريس والخبير بشئون العالم الثالث ..

كما عرضه فى كتابه القيم « تغريب العالم »
(L,OCCIDENTALISATION DU MONDE)

والكتاب لم يفت انتباه زميلنا المفكر والكاتب الاسلامى أحمد عبد الوهاب الذى يعيش معنا نبض العصر .. فطلع علينا بخواطره العميقة التى ضمنها كتابه « التغريب » معلقا ومحللا سطور سيرج لاتوش فى ذكاء .

نحن اذن أمام كتاب هام تلقى عليه الأضواء ، ونحن أمام شاهد من أهلها .. من بلاد الغزو الثقافى نفسه .

يقول سيرج لاتوش تحت عنوان .. « انتقام الصليبيين » (La Revanche des Croises)

« بعد معاهدة فرساى واقتسام غنائم الامبراطورية العثمانية قدم الچنرال چورو إلى دمشق مؤكدا استيلاء فرنسا على سوريا ودخل مسجد الأمويين حيث يرقد جسد صلاح الدين قاهر الصليبيين العظيم .. ثم رفس قبره برجله صائحا .. قم ياصلاح الدين .. ها نحن قد عدنا » ..

○ ○ ○

ويقول سيرج لاتوش بالحرف الواحد « ان حركة تغريب العالم هى فى المقام الأول حرب صليبية » .

Le mouvement d'occidentalisation du monde est d'abord une croisade.

وقديما جاء الاستعمار ليأخذ التوابل والعبيد والذهب والخامات المعدنية وينزح الموارد ويحتل الأرض ..

وهو الآن يعود بذكاء وفطنة ليحتل العقول بأسلوب آخر .. هو العلم والتكنولوچيا والاقتصاد والفن والفلسفة .

وفى سوق الاعلام الآن نجد شبكة احتكار لأربع وكالات هى .. الاسوشيتدبرس واليونيتدبرس (أمريكا) ورويتر (بريطانيا) وفرانس برس (فرنسا)

○ ○ ○

وكل محطات الراديو وقنوات التليفزيون وكل صحف العالم تشترك جميعها فى تلك الوكالات ، كما يتدفق ٦٥ ٪ من مواد العالم الإخبارية من أمريكا .. وعلى القمة تتربع محطة تليفزيون C.N.N العملاقة لتبتلع السوق الإعلامى كله .

وهذه الدعاية الماكرة .. وهى منحة سخية لاتقاوم .. سوف تخنق الابداعات الثقافيـة عند المشـاهدين والمستقبلين ، وسوف تفرض عليهم نوعا من السيادة والتبعية بما تقدم من قدوة فكرية وثقافية للمتلقى .

○ ○ ○

ولن تكون تلك العقول المستقبلة فى أحسن الأحوال إلا أسيرة لون واحد من المعلومات .. تأخذ الهامها من نبع محدود يبوح بقدر ما يريد السادة الكبار الذين يخططون لتشكيل تلك العقول من وراء الكواليس

○ ○ ○

ان فرنسا تقدم خدمة معلومات مجانية بالأقمار الصناعية لمحطات الراديو والتليفزيون الإفريقية وسوف تجنى ثمن تلك الخدمات المجانية .. مواقف سياسية وهيمنة وسيادة فكرية .

ان عصر الفاتحين العسكريين وعصر الامبراطوريات الذى كانت تلمع فيه قيادات كبرى ثم تنطفىء وتغيب .. هذا العصر انتهى .. وهذه المرة سوف يسيطر الغرب على الكرة الأرضية الى الأبد .. والاحتلال الثقافى للعقول سيكون احتلالا باقيا إلى قيام الساعة .

وإذا كانت أول حرب صليبية قد قام بها القديس بـونيفاس فيمـا بين ٦٨٠ ـ ٧٥٤ ميلاديـة لتنصيـر السكسون .. ومن بعدها جاءت الجيوش الأوروبية الى القـدس .. فـإن نفس الحـرب مـا زالـت

مستمرة الى الآن ولكن تحت شعارات حضارية مقبولة وتحت غطاء مشروعات للتنمية وقروض ومنح وبعثات مجانية ..

○ ○ ○

ولكن يظل الهدف واحدا .. وهو طمس الهوية ومحو الأعراف والتقاليد المحلية ، وتذويب البنية العقلية السلوكية فى مقابل تكنولوچيا براقة ، ودمى الكترونية وجنات من الإباحية الجنسية والحريات العبثية .

○ ○ ○

وسوف تكتشف البلاد النامية بعد فوات الأوان أنها ما أخذت فى مقابل روحها التى أعطت إلا كومة من البضاعة الخردة سوف يعلوها الصدأ ثم بقولها سيرج لاتوش بصراحة

L,occidentalisation du monde a ete tres long-temps, et n,a pas totalement cesse d'etre, une christianisation.

« ليس وراء هذا التغريب الثقافى إلا نفس محاولات التبشير القديمة » .

وهذا كلام سيرج لاتوش بحروفه وليس كلامنا .. ومسيحية الغرب فى هذا السباق تقف ضد مسيحية الشرق ، وكنيسة الغرب تقف ضد كنيسة الشرق ، وبين الكاثوليكية والأرثوذكسية من الخلافات ما هو معلوم

والحق أننا قد اكتشفنا بالفعل وبعد فوات الأوان أننا لم نكسب منذ الستينات إلا أفكارا خردة هى البضاعة الاشتراكية الخاسرة التى أعلن أصحابها فى الكرملين بوارها وخسارها .. وأننا قد هدمنا بيّتنا الاقتصادى على رؤوسنا بلا مقابل .

○ ○ ○

وقد سكتت الكتيبة المقاتلة من أقلام اليسار التى كانت تملأ الساحة فى الستينات بالألفاظ الطنانة الرنانة .. فقدت البوصلة والمؤشر والاتجاه ، وصدمتها النهاية المفاجئة التى كانت أشبه بالجلطة والشلل الرباعى فانهارت فى مكانها فاقدة النطق .

○ ○ ○

وقد استهوتنى تلك الألفاظ الطنانة الرنانة فى بداية مراهقتى الأدبية فسرت خلفها مفتونا بضع سنوات وكتبت فى ذلك الوقت كتابى الله والإنسان الذى اختار الشك والألحاد طريقا والذى استقبله الرفاق بالأحضان ..

وكتب محمود أمين العالم ساعتها : أن هذا الكتاب يبشر برائد فكرى عظيم .. فلما خرجت عن القافلة وانشققت على الصف رجمونى بالحجارة .. وقالوا هو درويش مخبول ! .

ان تاريخنا يؤكد بالفعل أن الغزو الفكرى حقيقة .

كان هذا الغزو موجودا بقيادة سلامة موسى وشبلى شميل فى الماضى .. ثم تسلمت الراية كتيبة اليسار بقيادة محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس .

وبعد أن سقطت راية اليسار تسلمت القيادة تيارات عبثية وسوريالية وعدمية وعلمانية ، ثم انفتحت الأبواب والنوافذ على تيارات سياسية وفكرية صهيونية وأمريكية ، ثم بدأ ينهمر علينا طوفان ثقافى من الأقمار الصناعية من كل لون .. واحتلت الشوارع أفلام الجنس والعنف والديسكو .

ولا أقول لسيادة الوزير .. نغلق علينا الأبواب والنوافذ .

ولا أدعو الى العزلة والانغلاق والتقوقع .

ولا أدعو لرفض الحضارة الغربية ، ولا بالحجر على رأى أو اتجاه . ولاأعيش فى وسواس الحروب الصليبية كما يعيش سيرج لاتوش .

○ ○ ○

إن مصر فى موقع استراتيجى بين ثلاث قارات .. أوروبا وآسيا وافريقيا .. وهى نقطة التحام حضارى .. ولا تملك العزلة .. ولا تملك إلا أن تعيش هذا الالتحام على أشده ، ولا تملك إلا أن تنفتح عليه من كل الاقطار ، ولكن لابد أن نضع على عقولنا مصفاة ناقدة ترشح وتنقى وتجادل وتناقش كل ما يلقى إليها . لابد أن نعيش فى رباط .. ونضع على ثغورنا الشرطة والعيون .

شرطة عقلية لا شرطة قمعية .

وعيون تأملية لا عيون بوليسية .

وحراسة جدلية لا حراسة عسكرية .

حراسة تناقش الفكر بالفكر ، وتقابل النظر بالنظر

التعددية الفكرية مطلوبة .. فالله أراد للدنيا أن تكون مائدة غنية متعددة المآكل والمشارب ليبتلى اختيارنا ومواقفنا .. ولو كانت هناك فكرة واحدة سائدة لما كانت لحرياتنا معنى .

والاسلام كفكر لا يخشى الالتحام ولايهاب المواجهة .. بل ان نقاء جوهره لا يظهر إلا بالالتحام ، وطاقاته لاتنقدح إلا بالاحتكاك ، وقوته لا تتجلى إلا بالتحدى ، ورأيه لا يسود إلا بانكسار الآراء الأخرى فى معارك حرة محايدة ..

فأنا مع الانفتاح الكامل .. لكن مع الوعى التام فى ذات الوقت بحقيقة وخطر الغزو الفكرى .. ورفاعة الطهطاوى لم يفقد نفسه كما فقد سلامة موسى نفسه فى باريس ، ولم يفقد جذوره فى أول لقاء مع نيتشه وداورن وماركس وفرويد كمافقد سلامة موسى جذوره .. ولم يقل كما قال سلامة موسى .

« كلما زادت معرفتى بالشرق .. زادت كراهيتى له وزاد شعورى بأنى غريب عنه . وكلما زادت معرفتى بأوروبا زاد حبى لها وتعلقى بها زاد شعورى بأنها منى وأنا منها ، أريد من أدبنا أن يصبح أدبا أوروبيا . وأريد من نسائنا أن يصبحن نساء أوروبيات » .

هذا رجل أصابه الطمس الكامل والمحو الكامل ففقد وجهه وأحشاءه وهويته وذاتيته فلم يبق منه شئ .

وهناك كثيرون يؤمنون بهذا المذهب السلامونى مثل أخواننا الذين جلبوا لنا بضاعة الاشتراكية البائرة وروجوا لها .

ولكن الأسوياء ينظرون الى كل جديد وافد بمصفاة العقل والنظر .

ومن أمثال هؤلاء . رفاعة الطهطاوى والشيخ محمد عبده والعقاد والحكيم وطه حسين ونجيب محفوظ .. هؤلاء رسل تنوير آخذوا النافع والمفيد من كل جديد ، وانتقوا الصالح من كل حضارة ونبذوا الضار والباطل .. فأثمرت أفكارهم فى النهاية ثمارا مصرية وفاكهة عربية .. ولم تفقد جذورهم هويتها ، ولم تفقد صلتها بالتربة العربية ولا بالأرض المصرية العريقة ولم تنطمس بصائرهم ولم تذب شخوصهم

○ ○ ○

ومن هؤلاء كان الشيخ سلامة حجازى وسيد درويش وعبد الوهاب .

كانوا نجوم تنوير فى الموسيقى وسفراء تجديد فى النغم أخذوا من الغرب وتعلموا منه دون أن يفقدوا مذاقهم وشرقيتهم .

وقد احتفظ كل منهم برأسه فى طوفان الجديد الوافد لأنه كان يؤمن بأنه غنى فى ذاته ، وأنه يملك شيئا أصيلا ، وأن له حضارته وجذوره وعطاءه .

الإيمان بالهوية الذاتية والثراء الحضارى كان حصنهم وحمايتهم .

واليوم .. الانفتاح أصبح حقيقة .. ولم نعد فى حاجة للسفر الى باريس ، لأن باريس تقتحم علينا غرف نومنا .. وتدخل علينا لندن من تحت الباب وتنقض علينا أمريكا من القمر الصناعى .

العزلة غير ممكنة ، والتقوقع مستحيل ، والرفض غير مجد .

وأيضا الاستسلام للأفكار الغَازية وأخذها باللأحضان وتشربها بلا تمييز النافع منها والضار هو انتحار حضارى .

ان الموقف السوى هواليقظة والوعى والإيمان العميق بالذات والإيمان بالهوية التاريخية .. فمن تلك الهوية التاريخية خرجت أنوار النبوات وأشرقت المعارف الإلهية على العالم .. فكيف نتحول إلى أقزام مفتونين أمام الدمى الالكترونية واللعب الفضائية الوافدة علينا من الغرب .. إن لهم علومهم ، ولكن لنا نحن أيضا علومنا .. ولهم تراثهم ، ولنا تراثنا .. ونحن نستطيع أن نضيف أكثر مما أضافوا .

ومن هذا المنطلق من الندية نستطيع أن نأخذ ونعطى .

ومن هذا المنطلق يثمر تلاقح الثقافات نبتا جديدا .

أما أن ينسحق بعضنا تحت أقدام هذا الغزو الثقافى ، ويتعطل جهاز الإرسال فى مخه ويتحول الى مجرد آلة استقبال .. فهو الضياع الذى يهدد المنطقة كلها .. وهو الأمر الذى نرفضه جميعا ..

ولا أظن وزير ثقافتنا الذى يرابط على حماية ثغورنا الثقافية إلا رافضا لهذا الأمر أكثر منا ومستشعرا معنا خطره .

ألم أقلْ فى بداية مقالى أنه هو نفسه يعانى من آثار تلك الغزوة الفكرية الشرسة التى أصابت المنطقة بحالة من الإيدز السياسى والإيدز الاقتصادى جفت فيها ينابيعنا وأجدبت مواردنا .. وأصبحنا نتسول المعونات ونشحذ القروض .

وهل جاءتنا الأوبرا إلا هدية .؟

وهل أنقذ معبد أبو سنبل إلا تطوع دولى .

وهل تنتظر آثارنا المكدسة فى المتحف المصرى إلا حملة تبرعات أخرى لتنجو من الزنزانة التى تتكدس فيها .

ومثلها لوحات بالملايين والمليارات تتكدس مهملة فى بدرومات .

ومسارح بلا ميزانيات .

وسينما بلا سند مادى .

إن مشاكلنا تصرخ .. والخطر حقيقى .

والغزوة الاشتراكية الفاشلة قد تركت البدن مشلولا والعقل معطلا .

وانهيار الشيوعية فى أماكن كثيرة من العالم .. فى روسيا .. فى يوغوسلافيا فى

الشرقية .. قد ترك فراغا فى هذه الأماكن .. ووجدنا المعونات تتدفق على هذه الأماكن لتحتل الفراغ .

ويقول سيرج لاتوش : « أن هذه المعونات هى الوجه البرىء الظاهر من القصة » .

ومن وراء المعونات مصالح تسعى لترث الأرض ومن عليها .

ومن وراء المصالح عقائد وغزو فكرى ومنشورات .. وقد شممنا رائحة لتلك الصراعات فى أملكن كثيرة .

فى بلغاريا .. فيما حدث من طرد المسلمين الأتراك الذين كانوا يرفضون تغيير أسمائهم الإسلامية .

وفى البانيا الآن .. فيما يحدث من الحرمان من تسهيلات الفيزا إلا لمن يغير اسمه باسم غير اسلامى .. وفى اندونيسيا بعد سقوط سوكارنو .. وفى الصومال .. وفى كل بلد يسقط ويتمزق تتسارع القوى المختلفة لترث الأرض البور والعقول المنهكة وتقدم التسهيلات بشروطها ومغرياتها .

ولايوجد دولار ينفق فى مكان إلا وراءه مصلحة ظاهرة أو خفية .

وكل كتاب يحمل فى سطوره هدف صاحبه .

وطبيعى أن يبشر كل كاتب بالعقيدة المثلى التى يحلم بها .

○ ○ ○

ولكن ما هو غير طبيعى بالمرة أن نقرأ فى غفلة ، ونشاهد فى غيبوبة عقلية كل مادة ثقافية على أنها بضاعة مزجاة لقتل الوقت والتسلية بلا هدف ولا غاية ، وأن نعيش مخدرين طوال الوقت !!

إنها محاولة من كاتب فرنسى كبير وسياسى محترف لتفتيح العيون على ما يجرى فى غابة الفكر والثقافة .. وشاهد محايد من بلاد الغرب التى تصدر لنا الثقافة يقول كلمته .

○ ○ ○

والتحية واجبة للزميل أحمد عبد الوهاب الذى ألقى الضوء بكتابه « **التغريب** » على سيرج لاتوش وكتابه القيم ، وعلى حقل الألغام الثقافية الذى نمشى فيه .

وفى النهاية لا نملك إلا أن ننثر هذه الآراء أمام عين الوزير ليرى فيها رأيه ، فهو رجلنا الذى يتصدر موقع المسئولية .. وهو صاحب القرار وحارس الديار .

● ● ●

المحتـــويات

■ صدر للمؤلف ■

1. الله والإنسان
2. أكل عيش
3. عنبر ٧
4. شلة الأنس
5. رائحة الدم
6. إبليس
7. لغز الموت
8. لغز الحياة
9. الأحلام
10. أينشتين والنسبية
11. فى الحب والحياة
12. يوميات نص الليل
13. المستحيل
14. الأفيون ... (سيناريو)
15. العنكبوت
16. الخروج من التابوت
17. رجل تحت الصفر
18. الإسكندر الأكبر
19. الزلزال
20. الإنسان والظل
21. غوما
22. الشيطان يسكن فى بيتنا

● ● ● ●

● مجموعة المؤلفات الكاملة ●

قصص مصطفى محمود

صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

روايات مصطفى محمود

صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

مسرحيات مصطفى محمود

صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

رحلات مصطفى محمود

صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

● حازت رواية « رجل تحت الصفر »
على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠ ●

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٤١٥ / ١٩٩١

الترقيم الدولى ISBN 977 - 08 - 0141 - 0

قريبا ..

يصــدر للمؤلف ..

عصـر العنـف ..



عن مؤسسة أخبـار اليوم

إدارة الكتب والمكتبات

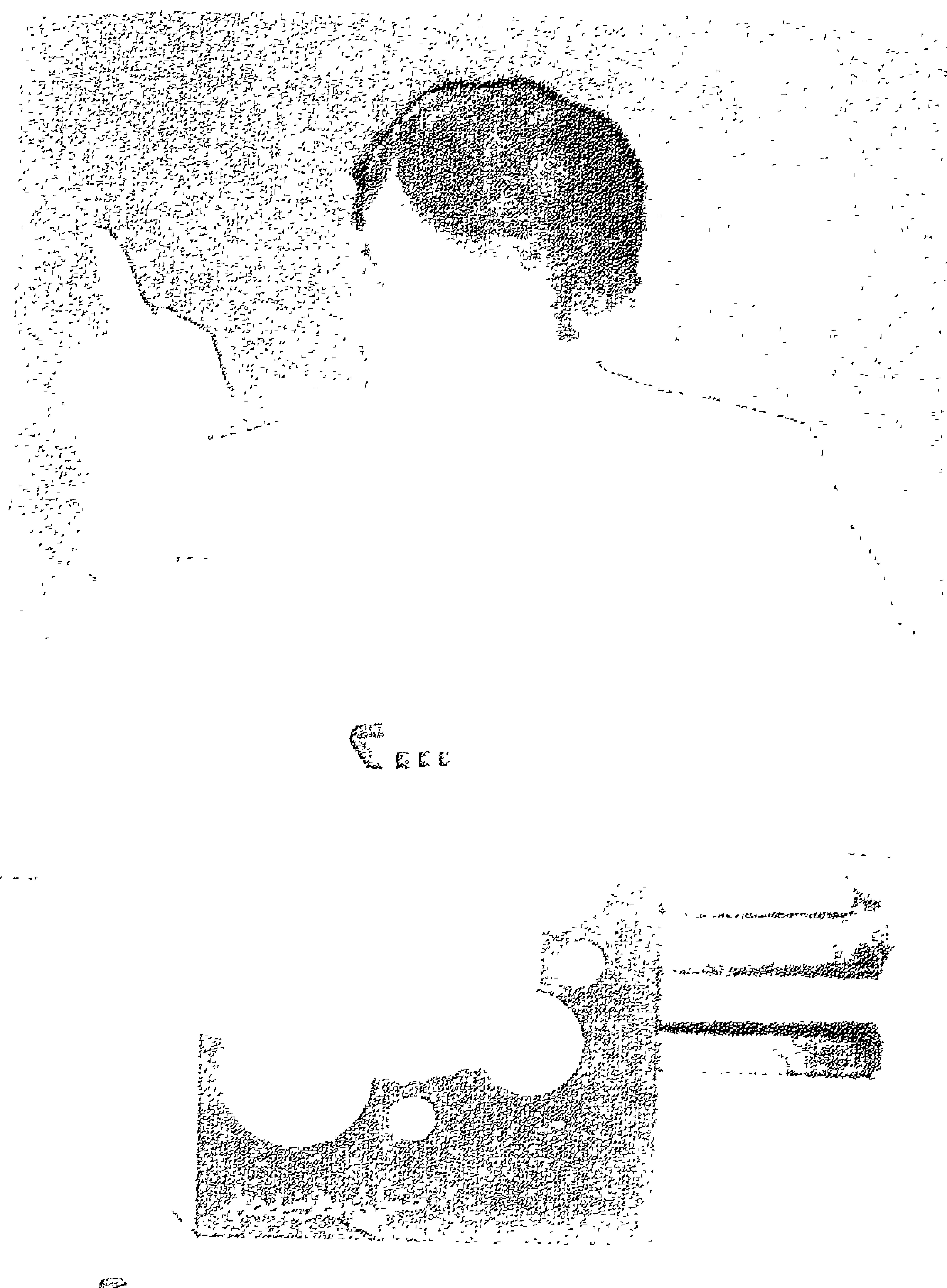
■ كتاب اليوم ■
عدد أول أكتوبر

القومية المصرية
قراءة فى وضوح البداهة

تقديم : د . نعمات أحمد فؤاد
تأليف : د . السيد نصر الدين السيد

■■ هذا الكتاب تاريخ وثائقى إمتزج فيه الشعر بالحقيقة دون أن يمس منها التكوين بل كان حلى لها وتاجاً على الجبين ..

■ ترقب صدوره ■





السياسة العالمية حفلة تنكرية يظهر فيها كل سياسى بوجه غير وجهه .

انها لعبة ذكـاء .. الشعارات المعلنة فيها غير النيات المبيتة .. والأوراق التى تكشف على المائدة .. غير المؤامرات التى تحاك تحتها!!

ولا أحد يدرى ماذا تحت القبعة .

فى الماضى كانت شعارات الثورة الفرنسية المعلنة هى : الحرية والاخاء والمساواة .. ولكن ما حدث أن الحرية كانت أول رأس قطعها الجيلوتين .

وستالين رفع راية . كل شىء من أجل الفلاح .. ثم قتل خمسة ملايين فلاح فى أول وجبة !

وأمريكا دخلت حرب الخليج .. وقالت شعاراتها المعلنة .. انها حرب تحرير الكويت .. ولكن النار أحرقتَ بترول الكويت وأكلت أموال العرب .. وظهر من خلف الستار مستفيد وحيد هو إسرائيل ..

والعلب السيرك السياسى مستمرة ..

● د . مصطفى محمو

١٥٠ قرشا

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم